

٣٠

حتميات لاهوتية

جزء رابع

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

العدد الثلاثون

أغسطس ٢٠٢٠

حتميات لاهوتية

جـــزء رابع

إســحق إســكندر

الـــــسلســلة: ملء الــــجبــاب

الـــــــــكتاب: حتميــات لاهوتية

جــزء رابع

الــــــــــكاتب: إســحق إســـكندر

لـــلـــتواصل: كنيسة الإخوة بالجيزة

٧ ش الدرى - ميدان الجيزة

تلـــــيـــــفون: ٠١٢ ٨١ ٨٨ ٧٥ ٨٨

كمبـــيــــــوتر: Pateer Center

تصميم الغلاف: Pateer Center

مطبـــــــــعة: أوتو بـــــــــرنت

إيـــــداع رقم: ١١٠٨٩ / ٢٠٢٠ بدار الكتب

ترقيــم دولـــى: 978/977-90-7394-1

سلسلة ملء الجباب

صدر منها

١- ملء الجباب (طبعة ثانية)
٢- تكفيك نعمتي (نفذ)
لماذا أنا بالذات؟ (نفذ)
٣- كرسى المسيح (نفذ)
٤- حبيب الرب (طبعة ثانية)
٥- أرى الدم
ثلاثة أبكار
أربع معارك
٦- على الشجوية
ظل الموت
٧- روشتة للألم
٨- كاهن عظيم
٩- السجين الحالم
١٠-ميمى بك
١١-مجاهد فى الجبانة
١٢-رئيس الخلاص
١٣-وأنت تبقى (طبعة ثانية)
١٤-لنا شفيع (طبعة ثانية)
١٥-محطة الأتوبيس
حجرة الفئران
١٦-رائد وسلطان
١٧-لا تهتموا بشئ (طبعة ثانية)
١٨-الاختيار الأزلى
١٩-حقوق المسيح ج ١
٢٠-حقوق المسيح ج ٢
٢١-حقوق المسيح ج ٣
٢٢-حتى الموت
٢٣-الورقة الأخيرة
٢٤-سر الله
٢٥-حتميات لاهوتية ج ١
٢٦-الشاويش بركات
٢٧-حتميات لاهوتية ج ٢
٢٨-الست عواطف
٢٩-حتميات لاهوتية ج ٣

✤ Upon Shiggaion
✤ The Shadow of Death
✤ The Brass Serpent (نفذ)

فهرس

مقـــــــدمة

وصلنا فى أعداد ســابقة من هذه الســـلسلة - بالعقل و المنطق قبل الكتاب - إلى:

١- حتمية وجود الله.

٢- حتمية أن يكون هو الخالق.

٣- حتمية أن يكون واحداً لا شريك له.

٤- حتمية أن تكون له صفات.

٥- حتمية أن تكون واحدانيتة وحدانية جامعة مانعة.

٦- حتمية أن يكون لله ابن أزلى غير مولود.

وفى هذا العدد ســنســتكمل تناولنا لحتميــات أخرى.. كأن تكون لله وسائل يتواصل بها مع خلائقه العاقلة.. وحتمية أن تكون قمة هذه الوسائل هى أن يرسل الله ابنه ليتواصل به مع البشر.. ثم حتمية أن يبذل الله ابنه هذا الذى أرسله، فداء عن البشر.

كل هذا **بالعقل والمنطق** قبل أن يكون بنصوص مقدسة موحى بها.

الحتمية السابعة

هل هناك ما يحتم أن تكون لله وسيلة يتواصل بها مع الإنسان

الحتمية السابعة

هل من المحتم أن تكون لله وسيلة
يتواصل بها مع خلائقه العاقلة، أى البشر؟

الإجابة: نعم.. لابد.. لماذا؟

كنا قد رأينا فيما سبق من حتميات:

١- أن الإنسان ناقص، بدليل مراودة الشكوك له.

٢- أن وجود الناقص يحتم بالضرورة وجود الكامل.

٣- أن الإنسان لديه طموح للعلو.. ولأنه ناقص، فإنه يسعى لإدراك هذا الكامل.

٤- أنه لكونه ناقصاً، فإنه لا يستطيع الوصول إلى الكامل.

٥- أن وجود الكامل، يحتم بالضرورة وجود "مطلق الكمال".. أى الله.

٦- أنه لكونه "مطلق الكمال"، فمن كماله المطلق أن يكون مطلق الصلاح والخيريَّة.

٧- فإن كان الله "مطلق الكمال" ويريد ذاته بالضرورة.. فمن خيريَّتِه وصلاحه، فإنه يريد الإنسان، ولكن بالاختيار لا بالضرورة (الحتمية الثانية).. أى دون أن يكون ملزماً بذلك كما سبق شرحه فى أعداد سابقة.

لذلك

من المحتم أن يعلن الله ذاته للإنسان لأنه:

١ - ما دام الله باختياره يريد الإنسان.. فمن غير المعقول أن يريده، ثم يتركه عاجزاً عن الوصول إليه.

٢- من غير المعقول أن يعلم أنه ناقص، ثم يتركه فى نقصه.. وبعد ذلك يطلب منه.. أن يدرك الكامل - مطلق الكمال - وأن يصل إليه، رغماً عن عجزه.

٣- من غير المعقول أن يخلقه عاقلاً - على صورة الله وشبهه - ثم لا يخاطب عقله (مع قلبه)، بما يستدل به على الحتميات السابقة واللاحقة.

٤- من غير المعقول أن يخلقه مُطَالَباً بالاقتراب منه وعبادته، دون أن يعلن له من هو فى **ذاته وصفاته وأعماله، وطريقة الوصول إليه.**

٥- من غير المعقول أن يخلقه مُطَالَباً بتنفيذ ما هو مطلوب منه كمخلوق للخالق، دون أن يعلن له **هذه المطاليب**، من خلال **نصوص واضحة ومحددة.**

٦ - من غير المعقول أن يعلن ذاته للإنسان فى إعلان منقوص غير كامل، وإلا كان المُعْلِن - أى الله - غير كامل.. مما يتنافى مع كونه "**مطلق الكمال**".

٧- من غير المعقول أن يعلن ذاته للإنسان فى إعلان محتاج إلى أدلة خارجية لإثبات صدقه، وإلا كان المُعْلِن - أى الله - مشكوكاً فى صدقه.. مما يتنافى مع كونه "**مطلق الصدق**".

٨- من غير المعقول أن يترك إعلانه للناس عرضة للتحريف ونهباً للتزوير، وإلا كان المُعْلِن – أى الله – عاجزاً عن حماية إعلانه والدفاع عنه.. مما يتنافى مع كونه "**مطلق القدرة**".

٩- إن كان الإعلان لم يأت دفعة واحدة.. بل مُجَزَّأً، على فترات، فمن غير المعقول أن يناقض جزء منه باقى الأجزاء.

١٠- بعد اكتمال هذه الأجزاء فى إعلان واحد واضح وصريح ولا يناقض نفسه، فمن غير المعقول أن يوجد إعلان آخر يناقض إعلان الله الوحيد هذا.

١١- إن كان الإعلان شفاهة - فى القديم - كان ذلك لسبب طول أعمار البشر.. حتى يتواتر الإعلان بينهم.. وصولاً إعلانه مكتوباً (بيد موسى).

وكما سيأتى ذكره عند الاستشهاد بالكتاب المقدس، كالكتاب التاريخى **الوحيد**، الذى أرَّخ لأزمنة غابرة منذ بدء الخليقة، نجد أن أجزاء الإعلان المتتابعة كانت شفاهة لرجال الله.. وقد تواترت بينهم؛ أى انتقلت شفاهة من جيل إلى جيل، لمدة ٢٥٠٠ سنة، من آدم إلى موسى؛ أول كتبة الوحى.. وكان ذلك خلال خمسة أجيال فقط.. فآدم سلَّم لامك (أبا نوح).. ولامك سلَّم سام (ابن نوح).. وسام سلَّم يعقوب (أبا الإسباط).. ويعقوب سلَّم لاوى (جد موسى).. ولاوى سلَّم أحد أحفاده (موسى).

١٢- لذلك بعد فترة الإعلانات الشفوية وحتى يكون الإعلان بعد ذلك موثقاً.. كان لابد أن يكون مكتوباً.

١٣- وكما سيأتى ذكره، سنجد أن أجزاء الإعلان المتتابعة، جُمعت كلها فى لفظ كتابى واحد هو"الكلمة"؛ "كلمة الله".. ذلك لأنها إعلان واحد.

١٤- وكما رأينا فى الحتمية السادسة، أن "الكلمة" هو ابن الله الأزلى؛ المعبر عن ذات الله وفكره وصفاته وأعماله.. إذ هو التجسيد الحى لكل هذه.. فبعدما ظهر هذا الإعلان المكتوب متجزأً، فى تتابع لأجزائه، تجمعت كلها فى الكلمة.. وكان الكلمة هو الله كما رأينا.. فلا انفصال بين ذات الله وبين كلمته.. كما سبق وأثبتنا بالمنطق وبالمكتوب.

وعند الرجوع إلى المكتوب - كما سـيأتى ذكره - سنجد أن الرب يسوع نفسه قال: "أَنَا مِنَ الْبَدْءِ مَا أُكَلِّمُكُمْ أَيْضًا بِهِ" (يو٨:٢٥) فأنا هو الكلمة، ولكن متجسداً.

الخلاصة

لما سبق، نجد أنه بالعقل والمنطق، يتحتم أن يتواصل الله مع خليقته العاقلة؛ أى البشر، بإعلان ذاته وفكره وصفاته وأعماله ومطالبيه لهم، من خلال كتاب مكتوب، جامع مانع.. أى جامع لكل ما يريد الله أن يعلنه لهم.. ومانع للطعن فى كونه من الله.. إذ يحمل فى داخله ما يدل على ذلك؛ على صدقه.. وعلى ما يمنع قابليته للتلقيد، أو التزوير، أو التحريف، أو الإضافة، أو الحذف.

بالرجوع للكتاب المقدس

من الـــكتاب، نجد إعلان الله.. بدءاً من الخلق.. ثم فى تعامله مع البشر، بقبول الـــذبائح، مثلاً.. وبنزول الـــطوفان.. وببلبلة الألســـنة.. إلخ.. هذا الإعلان التاريخى الذى تم تداوله خلال ٢٥٠٠ سنة بالتواتر وانتقال الأخبار شفاهة من جيل إلى جـيل، يكشف لنا قبساً عن **قدرة الله ولاهوته** فى عملية الخلق.. **وعدالته** فى أعمال الدينونة.. **ورحمته** فى الفداء الرمزى بالذبائح.. إلخ.

حتى جاء موســـى وتسلم من سابقيه هذه الأخبار المتواترة - والتى تشمل ضمناً إعلاناً من الله عن ذاته وصفاته ومطاليـــبه، حتى **يكتبها لنا**، بوحى من الله.. وبأمر منه، أن "**اكْتُبْ** هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ...." (خر١٧:١٤).. و"**اكْتُبْ** لِنَفْســـكَ هذِهِ الـْـكَلِـــمَاتِ، لأَنَّنِي بِحَسَـبِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَكَ وَمَعَ إِسْــرَائِيـــلَ" (خر٣٤:٢٧).. كما قال الرب بعد ذلك لأشعيـــاء: "تَعَالَ الآنَ **اكْتُبْ** هذَا عِنْدَهُمْ عَلَى لَوْحٍ وَارْسُـــمْهُ (كتابة) فِي سِفْرٍ، لِيَكُونَ لِزَمَنٍ آتٍ لِلأَبَدِ إِلَى الدُّهُورِ" (إش٣٠:٨).. وهو نفس ما قاله الرب لأرميـــا (إر٣٠:٢).. ولباروخ (إر٣٦:١٨).. ولحزقيـــال (حز٢٤:٢).. ولحبقوق (حب٢:٢).. فى العهد القديم.. وليوحنا الرســـول فى العهد الجديد: "الَّذِي تَرَاهُ، **اكْتُبْ فِي كِتَابٍ** وَأَرْسِـلْ إِلَى السَّـبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَســـِيَّا" (رؤ١:١١).. و"**اُكْتُبْ** إِلَى مَلاَكِ كَنِيسَةِ...." (رؤ١:٢،٨،١٢،١٨ & ١:٣،٧،١٤).

لـــكن الـــملاحظ أن التواتر كان قبل الطوفان من آدم إلى ســـام.. ثم بعد الطوفان من سام إلى موسى.. ثم كتابة.. بعد موسى إلى شعب اسرائيل.

والسؤال الآن إن كان موسى قد كتب إلى بنى إسرائيل فما هو موقف باقى البشر من خارج دائرة موســـى وشعبه.. بل من كانوا بعيداً عن ســـام ونسله.. من كـــانوا قبل سام؛ أى قبل الطوفان.. ومن سام إلى موسى؛ أى بعد الطوفان.. أو بلغة أخرى، البشر عامة؛ قبل موسى؟

الإجابة

أنه بصفة عامة هناك أربعة طرق أو - إن جاز التعبيــر - أربعة كتب تكلم بها الله إلى البشر عامة.

الكتاب الأول: كتاب الخليقة

وهو بالطبع غيــر مطبوع على ورق.. لأن تاريــخه منذ بدء الخليقة قبل اختراع الورق والأحبار.. إلا أن صفحاته كانت صفحة **السـماء**، حروفها النجوم.. وصفحة **الطبيعة**، حروفها المصنوعات المنظورة.

فعن صفحة السماء، نقرأ: "**اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ** بِمَجْدِ اللهِ، وَ**الْفَلَكُ يُخْبِرُ** بِعَمَلِ يَــدَيْهِ. يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ **يُذِيعُ كَلاَمًا**، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْل **يُبْدِي عِلْمًا**. لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ (مكتوبا على ورق). لاَ يُسْـمَعُ صَوْتُهُمْ (منطوقاً لأذن، بل). فِي **كُلِّ الأَرْضِ** خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى **أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ** كَلِمَاتُهُمْ" (مز١٩:١-٤).

وعن صفحة الطبيــعة، نقرأ: "لأَنَّ أُمُورَهُ (أمور الله) غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ **تُرَى** مُـنْذُ **خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ**، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ (غير المنظورين)، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ. لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ...." (رو١:٢٠،٢١).

هذا الكتاب؛ كتاب الخليــقة غطى العالم (دون دار نشر أو ميـديــا)، من زاويــتيــن: **مكانيـــاً، وزمانياً**.. فالصفحة الأولى، خرجت كلماتها **إلى كل الأرض (مكانيـــاً)**.. والصفحة الثانية، تُرى **منذ خلق العالم (زمانياً)**، حتى أن الإنســان بلا عذر إن لم يلتفت إلى هذا الكتاب الأول، بدعوى أن ليس لديه باقى الكتب.

وهذه الـــبشارة التى تقدمها الخليــقة للبشر ســكان الأرض، تحثهم على ضرورة الإيمان بالله خالقها تتم فى صمت – "**لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ**" (مز١٩:٣) – لكنها بعد اختطاف الكنيسة سوف تتم – عالمياً – بصوت مسموع من الجميع، حيث يكتب

يـــوحنا الرائى: "ثُمَّ رَأَيْتُ مَلاَكًا آخَرَ طَائِرًا فِي وَسَــطِ السَّـمَاءِ مَعَهُ **بِشَارَةٌ أَبَدِيَّةٌ**، **لِيُـبَشِّرَ السَّــاكِنِيــــنَ عَلَى الأَرْضِ وَكُلَّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَلِسَــانٍ وَشَعْبٍ**، قَائِلاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ:«خَافُوا اللهَ وَأَعْطُوهُ مَجْدًا، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ سَــاعَةُ دَيْنُونَتِهِ، **وَاسْــجُدُوا لِصَانِعِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَيَنَابِيعِ الْمِيَاهِ**» " (رؤ١٤: ٦، ٧)

وتتصف هذه البشارة بـ

١- اسمها **البشارة الأبدية.**

٢- تطالب **بخوف الله** وإعطائه المجد، نتيجة الإيمان به كخالق الكل.

٣- موجهة إلى **الســـاكنيــــن على الأرض عامة**، حيث أن أكثرهم ليس لديه ناموس إلهى، سوى شهادة الخليقة هذه.

٤- حيث أن التبشير لم يكن فى يوم من الأيام بواســـطة ملائكة.. بل بواسطة بشر- أنبياء ورسل وشهود - لذلك فهذا الملاك المبشِّر، هو ملاك رمزى.

٥- بشارته الطائرة فى وســط الســــماء لتصل إلى جميع أمم وقبائل وألسنة وشــعوب الساكنين على الأرض، ربما ترمى إلى وسائل الاتصال الحديثة من أقمار صناعية.. وقنوات تلفزيونية.. إلخ.

وحيــث أن هناك تشابهاً بيــن بشارة الملاك هذه، وبشارة كتاب الخليـــقة (الكتاب الأول) لذلك يـــمكن تســـميــــة بشارة كتاب الخليقة أيضاً **بالبشارة الأبدية..** لاسيما وأنها تطلب الإيمان بالخالق، للنجاة، لأنه قد جاءت ساعة دينونته الأبدية.

الكتاب الثانى: كتاب الضمير

بعد أن أكل آدم من الشجرة المنهى عنها، صارت لديه **معرفة الخير والشر**، وهو ما يسمى **بالضمير**؛ أى القدرة على التمييز بينهما.. ومن آدم باعتباره أبا الجنس البشرى، ورث الإنسان هذا الضمير، طبقاً لقانون الوراثة الأعم، وليس فقط البيولوجي والسلوكي والطبي.

فالأخير يُورِّث الصفات الجسمانية والنفسية، وما إلى ذلك.

أما القانون الأعم، فيشمل توريث الروح من الأباء إلى الأبناء.. فالله لم ينفخ فى أنف كل مولود ليهبه الروح، كما فعل مع آدم.. لكنه وهبها لآدم.. ومنه إلى نسله بالوراثة.

وبناء عليه فبوجود هذا القانون الأعم للوراثة، ورث الإنسان **الضمير**، تماماً مثلما ورث الروح.

ووراثة الإنسان الضمير- أى غريزة التمييز بين الخير والشر- استتبعها بالضرورة الإدراك الغريزى لوجود ما يستحقه الخير من **مكافأة**، وما يستحقه الشر **من معاقبة**.

وللدليل على اكتساب هذا الإدراك الغريزى، نرى أن هذا الإدراك قد تَولَّد فى آدم بعدما أكل من الشجرة، حتى أنه - بعد سقوطه - عندما سمع صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة، اختبأ خلف الأشجار عرياناً وخائفاً (تك٣:٨-١٠).

وسبب هذا الإدراك ظهر فى سؤال الله له: "مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟" (تك٣:١١).

لم يـــعلم آدم منذ خلقه أنه عريان إلا بعد أن أكل من الشجرة، وتكوَّن لديه الضمير، الذى كشف له هذين الأمرين:

الأول: أن أكلــــه من الشجرة جعله يـــدرك الخيـــر والشر، والصواب من الخطأ.. فتسبب ذلك **فى اكتشافه أنه عريان.**

الـثانى: أن عصيانه الله **يستوجب العقوبة**، فتسبب ذلك **فى خوفه** واختبائه خلف الأشجار (تك٣: ١٠).

إذاً الكتاب الثانى الذى يخاطب به الله الإنسان هو **الضمير** الذى تكون لدى الإنســـان بعد ســـقوط آدم.. وهو الذى يكشف للإنسان الخير والشر.. وما يتبع كل منهما.. إن **مكافأة** للخير، أو **عقابٌ** للشر.

وهذا ما أكده الرســـول بولس من وجود فطرة طبيعية لدى الإنسان تجعله يـــدرك - بالطبيـــعة - ما هو الخير.. وما هو الشر.. إذ تكون لديه **ناموس داخلى موروث، غير مكتسب**، فكتب: "لأَنَّهُ الأُمَمُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ (ناموس الله)، مَـــتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ (أى بالفطرة) مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ، فَهؤُلاَءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ **هُمْ نَامُوسٌ** (بالضميـــر) **لأَنْفُســـهِمِ**" (رو٢: ١٤).. "الَّذِيـــنَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ **مَكْتُوبًا (ككتاب ثان)** فِي قُلُوبِهِمْ، شَاهِدًا أَيْــضًا **ضَمِيرُهُمْ** وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيْنَهَا مُشْتَكِيَةً أَوْ مُحْتَجَّةً" (رو٢: ١٥)، يـــوم الديـــنونة (رو٢: ١٦).. أى أن ضميرهم - فى ذلك اليوم - ســـيشهد ضدهم فيما هم أخطأوا فيه.. أو ســـيدافع عنهم فيما نفذوه بناموس الفطرة.. إن كانوا قد نفذوا شيـــئاً.. وبالطبع: لم يوجد "مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (مز١٤: ٣).

الكتاب الثالث: رسائل الأبدية

عجيب!.. هل ترســل الأبدية رسائل للبشر.. ومع من ترسل؟.. وبالبريد الـعادى.. أم الجوى.. أم الإكترونى؟.. لا هذا ولا ذاك.. وإن كان المُرْسَلُ إليهم هم البشر، فمن يكون المُرْسِلْ؟.. **إنه الله.**

لذلك نقرأ أن الله "**جَعَلَ الأَبَدِيَّــةَ فِي قَلْبِهِمِ**، الَّتِي بِلاَهَا لاَ يُدْرِكُ الإِنْسَــانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَـعْمَلُهُ اللهُ مِنَ الْبِدَايَــةِ **إِلَى النِّهَايَةِ**" (جا٣:١١).. والنتيجة: لكى يخاف الإنســان الله.. إذ "قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ اللهُ أَنَّهُ يَكُونُ **إِلَى الأَبَدِ**. لاَ شَيْءَ يُزَادُ عَلَيْهِ، وَلاَ شَيْءَ يُنْقَصُ مِنْهُ، وَأَنَّ اللهَ عَمِلَهُ حَتَّى **يَخَافُوا أَمَامَهُ**" (جا٣:١٤).

هــذه الرسالة، هى نسمة من القدير للبشر.. لأن "فِي النَّاسِ رُوحًا، **وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ**" (أى٣٢:٨).. وكما أن الوحى هو نسمة الله **المكتوبة على ورق**، فإن رسائل الأبدية هى نسمة الله **المغروسة فى القلب.**

هذه النســمة المرســلة من الله للبشر، فى داخلهم مبيِّنة لهم ما سيكون فى الأبدية، إن كان مكافأة أم عقوبة، هى أشبه بشاشة اســتقبال تلفزيونى، مغروسة فى قلب كل إنســان تستقبل الإرسال الإلهى، مصوِّراً أمام القلب **نهاية** الإنسان الأبدية، إن نعيماً أوجحيماً.

وأحـياناً تكون إرهاصات الله إلى قلب الإنسان، مرة ومرتين، "فِي حُلْمٍ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ، عِنْدَ سُقُوطِ سَبَاتٍ عَلَى النَّاسِ، فِي النُّعَاسِ" (أى ٣٣:١٥).

هذه الأبدية فى القلب لا تنبى الإنسان فقط بالنهاية، بل أيضا **بالبداية** ومن هو الذى عمل من البداية إلى النهاية.. ألا وهو الله.

فالله حتى يــكون باراً وعادلاً، لا يترك الأمى أو الجاهل أو عديم القراءة والاطِّلاع أو الســاكن فى مجاهل معزولة، بدون رسالة تُقدَّم له، مضمونها معروف

فى القلب، من خلال هذه الشاشة المعنوية المغروســـة، أو جعبة الاستقبال الداخلية لدى الإنســان.. وهو أن **هناك إله** عمل منذ البدايـــة وحتى النهاية.. مع كشف هذه **النهاية الأبدية**.. حتى يكون الإنسان "بِلاَ عُذْرٍ" (رو١: ٢٠).

وهذه تضاف - ككتاب ثالـــث - إلى الضميــر - ككتاب ثان - ذلك لأن الضمير هو موروث بالفطرة.. أما هذه الإرهاصات الإلهية قادمة من الأبدية.

فإن تجاوب الإنســان مع هذه الإرهاصات.. واعتبرها صوتاً من الله، فإنه عندئذ يبحث عن طريق للنجاة من هذه الأبدية إن كانت جحيماً.

وســيصل بالتأكيد إلى الحل طبقاً للتدبير (الزمان) الذى يعيش فيه.. وهو **الإيمان** بما يقدمه الله فى ذلك التدبير، **كموضوع للإيمان.**

فموضوع إيمان **هابيل كان الذبيحة**، فقدمها(عب١١: ٤).. وموضوع إيمان **نوح كان "عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ** (ف) خَافَ، فَبَنَى فُلْكًا لِخَلاَصِ بَيْتِهِ، فَبِهِ (بالفلك) دَانَ الْعَالَمَ (الغيــر مؤمن لا بالطوفان ولا بالاحتياج إلى الفلك)، وَصَارَ وَارِثًا لِلْبِرِّ الَّذِي حَسَبَ **الإِيمَانِ**" (عب١١: ٧).

وماذا عن موضوع إيمان أبينا إبراهيم.. هل كان الإيمان بالله الذى أرسل ابنه ليـموت فديـــة من أجل الجميع؟.. كلا طبعاً.. إذاً ماذا كان؟.. نقرأ أن إبراهيم آمن بالله "**الَّذِي يُـحْيِــي الْمَوْتَى**، وَيَـدْعُو الأَشْيَــاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ" (رو٤: ١٧) "فَـحُسِبَ لَهُ بِرًّا" (رو٤: ٣).. وهو **نفس البر** الذى يحسب لمؤمن العهد الجديــد الذى يــؤمن "**بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ**، فَإِيمَانُهُ يُحْسَــبُ لَهُ بِرًّا" (رو٤: ٥).. و" سَــيُحْسَــبُ لَنَا، الَّذِينَ نُؤْمِنُ **بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ.** الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَــانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رو٤: ٢٤،٢٥).. رغم اختلاف موضوع الإيمان بين أبينا ابراهيم.. وبيننا.

وهكذا لكل تدبير موضوع للإيمان يختلف عن موضوع تدبير غيره.. لكن **الإيمان هو واحد**.. وإن اختلفت التدابير، واختلفت مواضيع الايمان.

يُضاف إلى ذلك – فى العهد الجديد – ما يزيد من فاعلية هذا الكتاب الثالث، وهو **عمل الروح القدس** مع البشر عامة.

فهو "**يُبَكِّتُ الْعَالَمَ** (عامة) **عَلَى خَطِيَّةٍ** وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ" كما قال الرب بفمه (يو١٦:٨).. وأضاف: "أَمَّا عَلَى **خَطِيَّةٍ** فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي" (يو١٦:٩).

ما المعنى؟.. إن ضمير الإنسان الذى لم يجد راحته بعد، بسبب خطاياه، يظل مشتكياً عليه (الكتاب الثانى).. إضافة إلى إرسال الأبدية إلى قلبه الذى يقلقه (الكتاب الثالث).. ذلك لأنه لم يتوصل إلى حل لمشكلة خطاياه.

فإن أراد الإنسان أن ينسى يلجأ إلى اللهو.. وإن لم ينسه اللهو، فإنه يَسِمُ ضميره (١تى٤:٢)، أى يكويه – كما يُكوى الجرح قديماً بالنار – ويدوس عليه؛ فلا يَسمع له صوتاً.

فيأتى الروح القدس هنا، ليوقظ هذا النائم الناسى، موسوم الضمير، ليقوم ويبحث على حل لمشكلة خطاياه.. وطالما لم يجد الحل، يظل الروح القدس يبكِّته، لأنه لم يجد الحل الذى هو الإيمان بابن الله.

هذا، وإن كان يحدث فى العهد الجديد، إلا أنه لمن لم يصلهم إنجيل المسيح (الكتاب الرابع).. فإن تجاوب الإنسان مع تبكيت الروح القدس.. بحث عن الحل.. وحتماً مادام يبحث بإخلاص، سيكشف له الرب أن الحل هو فى الإيمان بابن الله.. فابن الله – **شخصه، وعمله** على الصليب – هو **موضوع الإيمان** فى تدبير العهد الجديد.. فإن آمن بذلك انتهى تبكيت الروح القدس له، واستراح ضميره[1].

---

(١) راجع ملحق رقم (١)

كلماتهم الأخيرة

أقوال بعض الفلاسفة والعلماء والأدباء فى نهاية حياتهم، تشير إلى وصول رسـائل الأبدية إلى قلوبهم.. وهم إذ على مشارفها - فى وداعهم للحياة - ينطقون بما يدل على ذلك.

١- **جان جاك روسو** (فرنسا) : "سوف أرى الشمس لآخر مرة".. إذ كان يتوقع الظلمة.. (وهى ظلمة أبدية، كما قال الرب - مت٨:١٢)

٢- **فولتير** (فرنسا) : "أريد أن أموت فى سلام لم أعرفه فى حياتى".. (ولا سلام، بلا تبرير كما قال الرسول بولس - رو٥:١)

٣- **جوته** (ألمانيا) : صرخ طالباً: " مزيداً من النور مزيداً من النور".

٤- **ميكافيللى** : "سأذهب للجحيم".. فمن أدراه؟

٥- **أبو موسى الأشعرى**: "إما ليوسعنَّ الله قبرى.... وليفتحنَّ لى باباً من أبواب الجنة.... وليصيبنى من روحها وريحانها حتى أُبعث.. وإما أن يضيِّقنَّ علىَّ قبرى.... وليفتحن لى باباً من أبواب جهنم.... ثم ليصيبنى من سمومها وحميمها حتى أُبعث".

ومن كلمات السفاحين قبل إعدامهم:

١- **توم كيشوم** : سأكون فى الجحيم قبل أن تبدأ وجبة الإفطار يا أولادى.
(قتل كثيرين وسطا على قطار)

٢- **باتريك بربان نايت** : لقد انتهيت.. (أى بلا أمل فى الخلاص الأبدى).
(جريمة قتل مزدوجة)

الكتاب الرابع: الكتاب المقدس

وهــو **رابع** وسيلة يخاطب بها الله البشر.. وليس رابعها من جهة الأهمية، ولكن **رابعها تاريخياً**.

وقـد بدأت كتابته بعد ٢٥٠٠ سنة من آدم.. ومع هذا فقد غطى هذ الكتاب تلك الفترة الزمنية الســابقة له.. دون أن يكون من كتب عنها (موسى) قد عاينها.. لكن -كما سبقت الإشارة- فقد وصل إليه تاريخها بالتواتر، من خلال **خمسة أجيال** فقط.. وبالطبع- كما ســيأتى ذكره - فإن الروح القدس هو من **ســاقه** للكتابة حتى تكون معصومة من أخطاء النسيان أوالنقل أوالآراء الشخصية.

فبعدما اســتخدم الله الطرق الثلاث السابق ذكرها، وجه رسالته الواضحة والمباشرة والمكتوبة للإنســان.. معلناً له فيها ذاته وصفاته وأعماله ومطالبيه.. كما يوضح فيها للإنســـان كل شئ عن حياته وأبديته.. وطريق الوصول إلى الله.. من خلال **ســتة وستين** سفراً.. هى كتب العهد القديم (٣٩ سفراً)، وكتب العهد الجديد (٢٧ سفراً).

ولســنا بحاجة الآن إلى التأكيد إلى ماسبق ذكره عن الحقيقة المنطقية بأنه مادام هناك **إلــه كامل فى ذاته، عامل بصفاته**، فلابد أن تكون له رســالة أو كتاب موجَّه إلى خليــقته العاقلة.. ولما كانت هذه الخليــقة العاقلة - أى البشر - متكلمة، فمن غير المعقول أن يكون الله صامتاً غير قادر على الكلام والتعبير، إن بوسيلة أو بأخرى.. من الأربع وسائل.

وحيث أن هناك كتب كثيرة، ومذاهب كثيرة لكل منها رسالته وكتابه، فأى كتاب ياترى هو كتاب الخالق إلى خليقته العاقلة؟

لابــد لهذا الكتاب أن يكون **مختوماً بخاتم كاتبه**.. فإن كان الكاتب هو الله، فلابد أن يكون هذا الكتاب مختوماً **بختم الله**.

وحــيث أن ختم الله غير قابل بالطبع للتقليد، لذلك لابد أن يكون ذلك **الختم** واضــحاً – وعلى سبيل المثال – من خلال ذكر أمور فى هذا الكتاب **غير قابلة أن يكتبها بشر**، تمثل ختم الله على كتابه.

وهذه الأمور الدالة أن كاتب الكتاب المقدس هو الله عن طريــق أنبيـــائه ورسله، كثيرة؛ داخلية ممهورة بختم الله.. وخارجية بالأدلة الملموسة.

وبغض النظر عن الأدلة الخارجيـــة التى تثبت صحة نســب الكتاب إلى الله.. وهى الأدلة التاريـــخيـــة والجغرافيـــة والعلميـــة والأثريـــة، فإن هناك الأدلة الداخليـــة.. نأخذ منها باختصار عيـــنات فقط، تثبت صحة ختم الله، وصحة وحى كتابه، أى سَـوْق الله بروحه من كتبوا هذا الكتاب.. إذ كتبه "أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُــونَ **مَسُوقِينَ** (سوقاً) مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (٢بط١:٢١).

ومن هذه الأدلة نذكر بعض العناوين فقط، مع مختصر الموضوع:

أولاً – وحدة موضوعه: إذ كتبه أربعون كاتباً على مدى ١٦٠٠ ســـنة.. واتــفقوا جميعاً – دون أن يجتمعوا معاً – على موضوع واحد؛ **هو يسوع المسيح:** ذاته.. وتجســـده.. وحياته.. وصلبه.. وقيامته.. ومجيئه ثانية.. الأمر الذى يستحيل أن يحدث فى عالم الطب مثلاً.. إذ هل تتفق الشخصيات والعلاجات القديمة التى مر عليـــها ألف عام مثلاً، مع التشخيصات والعلاجات الحالية اتفاقاً تاماً فى كل شئ.. هل كتب لنا "أبو قراط" (٤٦٠ – ٣٧٠ ق.م.) مثلاً، وهو من علماء الطب فى ذلك الوقت عن الأشعة المقطعية التى تستخدم الآن؟.. أم هل أوصى "ابن سينا" (٩٨٠ – ١٠٣٧ م) باستخدام المضادات الحيوية؟

وهل تتفق كتب الطب جميـــعها – قديمها وحديثها – على أســلوب واحد لعلاج مرض واحد، بحيث يكون هو الأسلوب الصحيح؟

فإن كان المرض الروحى هو الخطيـــة، فهل اتفقت الكتب الكثيــرة، التى ناقشت الموضوع، على علاجها كما اتفق ســتة وســتون سفراً – دون تعارض – على ذلك.. وخلال ألف وستمائة عام.

وحدة الــموضوع هذه، هى إذاً إحدى جوانب هذا الــختم الإلــهى بصحة الكتاب المقدس.

ثــانياً – النبوات: التى ابتدأ ذكرها قبل الميلاد بـ ٤٠٠٠ سنة.. وتوالت بعد ذلك لتشمل:

١- نبوات عن المدن.

٢- نبوات عن الممالك.

٣- نبوات عن الإمبراطوريات.

٤- نبوات عن الحروب.

٥- نبوات عن أحداث طبيعية، مثل جفاف نهر النيل.

٦- نبوات عن أشخاص بأسمائهم قبل أن يولدوا.. مثل النبوة عن كورش قبل ظهوره وملكه بحوالى قرنين من الزمان (إش٤٤:٢٨).

وقد تحققت جميـــع النبوات فى وقت تتميمها.. وما هو مســتقبلى ســوف يـتحقق.. ودون الدخول فى التفاصيل لكثرتها سنكتفى بأهم النبوات، وهى عن الرب يســوع.. وكانت أولها قبل الميلاد بـ ٤٠٠٠ سنة.. وسنكتفى بذكر خمسين نبوة منها فقط.. وهى كالآتى:

نبوات عن:

١- نسـل المرأة الذى يـسـحق رأس الحية: (تك ٣:١٥ - ٤٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (عب ٢:١٤).

٢- النبوة لإبراهيم عن نسـله: (تك ١٥:٤،٥ & ١٧:١٩ - ٢٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى المسيح (مت ١:١ & غل ٣:١٦).

٣- نبوة يعقوب عن يهوذا، ومنه المسيح: (تك ٤٩:٩،١٠ - ١٩٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (عب ٧:١٤).

٤- النبوة لموسـى بمجئ نبى مثله: (تث ١٨:١٨ - ١٥٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى إجابة يوحنا المعمدان بأنه ليس هذا النبى (يو ١:٢١).. "لكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ (المسيح) الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ" (يو ١:٢٦).

٥- ميلاده من عذراء: (إش٧:١٤-٧٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مت١:٢٢،٢٣).

٦- تسميته عمانوئيل: (إش٧:١٤ - ٧٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مت١:٢٣).

٧- مكان ميلاده: (مى ٥:٢ - ٧٣٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مت٢:٥،٦).

٨- ظهور النجم: (عد ٢٤:١٧ - ١٤٥٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مت١:٢،٩،١٠).

٩- لجوؤه إلى مصر: (هو١١:١ - ٧٤٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مت٢:١٥).

١٠- حياته الكاملة: (إش٤٢:١-٤ - ٧٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مت١٢:١٤-٢١).

١١- دخوله أورشليم: (زك٩:٩ - ٥٢٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مت٢١:٤،٥).

١٢- ركوبه على جحش: (زك٩:٩-٥٢٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مر١١:٣-٧).

١٣- **خيانة يهوذا:** (مز٤١: ٩ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مت٢٦: ١٤).

١٤- **بيع يسوع بثلاثين من الفضة:** (زك١١: ٢ - ٥٢٠ ق.م.).. وقد تحققت بنفس الرقم (٣٠) فى (مت٢٦: ١٥).. فهل كان زكريـــا النبى يدير بنك.. وإن كان فهل يعرف مدير البنك حسابات بنكه قبل خمسة قرون؟

١٥- **أكل يـــهوذا مع الـــمســـيـــح:** (مز٤١: ٩ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (يو٣٠: ١٦،٣٠).

١٦- **نبوة المســيح لبطرس عن إنكاره لســـيده ثلاث مرات:** (مت٢٦: ٣٤).. وقد تحققت، بنفس عدد المرات (٣) فى (مت٢٦: ٦٩-٧٤).

١٧- **نبوة المســيـــح لبطرس عن صياح الديك مرتين:** (لو٢٢: ٣٤).. وقد تحققت بنفس عدد المرات (٢) فى (مر١٤: ٦٨،٧٤).

١٨- **موت يهوذا شاباً:** (مز١٠٩: ٨،٩ - ١٠٠٠ق.م.).. وقد تحققت (مت ٢٧: ٥- & أع ١: ١٨).

١٩- **شراء حقل الفخارى بثمن بيـــع يـــســـوع:** (٣٠ من الفضة) (زك١١: ١٣ - ٥٢٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مت ٢٧: ٧).

٢٠- **شهادة الزور على يـــســـوع:** (مز٣٥: ١١ - ١٠٠٠ق.م.).. وقد تحققت فى (مر١٤: ١٧).

٢١- **نـــبوة المسيح شخصياً لتلاميذه عن الحكم عليه بالصلب:** (مت٢٠: ١٨).. وقد تحققت فى (لو٢٢: ٥٤-٥٦).

٢٢- **نبوة المســيـــح عن اســتهزاء الرومان به:** (مت٢٠: ١٩).. وقد تحققت فى (لو١٩: ٢،٣).

٢٣- **جلـــده:** (مز١٢٩: ٣ - كاتب هذا المزمور غالباً، هو حزقيـا الملك - ٧٠٠ ق.م.).. وهى ما تنبـأ بها الـرب نفســه فى (مت٢٠: ١٩).. وقد تحققت فى (مت٢٧: ٢٦).

٢٤- **نبوة المسيح عن التفل عليه:** (لو١٨: ٢٢).. وقد تحققت فى (مر١٥: ١٥).

٢٥- **لطم يسوع على خده:** (مى٥: ١ - ٧٣٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (يو١٩: ٣).

٢٦- **نـبوة المسيح لتلاميذه عن موته:** (مت١٧: ٢٢، ٢٣).. وقد تحققت فى البشاير الأربعة.

٢٧- **نبوة المســيح عن طريـــقة موته مصلوباً:** (مت٢٦: ٢).. وقد تحققت فى البشاير الأربعة.

٢٨- **ثقب يـــديه ورجليه:** (مز٢٢: ١٦ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت لزوم عملية الصليـــب.. وتأكد ذلك عندما دخل يســوع العلية بعد قيامته "أَرَاهُمْ يَدَيْهِ...." (يو٢٠: ٢٠).. وقال لتوما "هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ" (يو٢٠: ٢٧).

٢٩ - **صلـبـه بـيـن لـصـيـن:** (إش٥٣: ١٢ - ٧٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مر١٥: ٢٨).

٣٠- **اقتســامهم ثيابه واقتراعهم على الرداء:** (مز٢٢: ١٨ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (لو٢٣: ٣٤).

٣١- **إســتهزاء الـــناس بــــه:** (مز٢٢: ٧ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (مر١٥: ٢٩، ٣٠).

٣٢- **اســتهزاء أحد الــلصيــن به:** (مز٢٢: ٨ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (لو٢٣: ٣٩).

٣٣- صراخه إلى الله لسـبب تركه له: (مز٢٢:١ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت في (مر١٥:٢٤).

٣٤- عطشه فوق الصليب وشربه الخل: (مز٦٩:٢١ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تمت في (يو١٩:٢٩،٣٠).

٣٥- إكمالـه العمل: ("قَدْ فَعَلَ" - مز ٢٢:٣١ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت في ("قَدْ أُكْمِلَ" - يو١٩:٣٠).

٣٦- إيـداعه الـروح للآب: (مز ٣١:٥ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت في (لو٢٣:٤٦).

٣٧- عدم كسـر عظامه: (مز ٣٤:٢٠ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت في (يو١٩:٣٦).

٣٨- طعنه بالحربة: (زك١٢:١٠ - ٥٢٠ ق.م.).. وقد تحققت في (يو١٩:٣٤).

٣٩- جراحة لـعلاج الـخطايـا: (إش٥٣:٥ - ٧٠٠ ق.م.).. وقد تحققت في (١بط٢:٢٤).

٤٠- احتماله الخطايا: (إش٥٣:٦ - ٧٠٠ ق.م.).. وقد تحققت في (١بط٢:٢٤).

٤١- دفنه لـدى شـخص غني: (إش٥٣:٩ - ٧٠٠ ق.م.).. وقد تحققت في (مت٢٧:٥٧-٦٠).

٤٢- نبوة المسـيح شخصياً عن مكوثه في القبر ثلاثة أيام: مثل يونان في بطن الحوت (مت١٢:٣٩،٤٠).. وقد تحققت في البشاير الأربعة.

٤٣- قيـامته من بـين الأموات: (مز١٦:١٠ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت في البشاير الأربعة.

٤٤- ظهوره للتلاميـــذ بعد قيامته: (مز٢٢:٢٢ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (يو٢٠:١٩).. وما بعد ذلك.

٤٥- تشتت التلاميذ بعد الصليب (زك١٣:٧).. وقد تحققت فى (يو ٢١:٢،٣)

٤٦- جمع الـــرب شمل التلاميـــذ بعد القيـــامة: فى (زك١٣:٧).. وقد تحققت فى (يو٢١:١،٤-٢٣).

٤٧- صعوده إلـــى الـســـماء: (مز٦٨:١٨ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (أع١:٩،١١،٢١ & أف٤:٨).

٤٨- نبوة المســيح شخصياً عن صعوده: (يو١٤:٢، ١٦:١٠ & ١٧:١٣).. وقد تحققت فى (مر١٦:١٩ & لو٢٤:٥١).

٤٩- نبوة المســـيـــح شخصياً عن حلول الروح القدس: (يو١٥:٢٦ & ١٧:٧).. وهى نفس نبوة يوئيل (يؤ٣:٢٨ - ٨٤٠ ق.م.).. وقد تحققت يوم الخمســـين (أع٢:١-١٨).

٥٠- اختيار تلميذ آخر بدلاً من يهوذا: (مز١٠٩:٨ - ١٠٠٠ ق.م.).. وقد تحققت فى (أع١:٢٠).

****

ما ســبق كان نصوصاً نبويـــة صريـــحة تحققت كلها حرفياً، وبأرقامها وأعدادها وصفاتها ومواقعها الجغرافية.. وغيرها الكثير، مما ضاقت المســاحة عن سرده.. غير ما لم يتحقق بعد.

وإضافة إلى ما سبق فإن هناك ما لا حصر له من الرموز، والشخصيات، والذبائح، والقرابيــن، والتقدمات والأعيــاد، التى تشير كلها صراحة، وضمناً، إلى

الـرب يسوع وحياته على الأرض بدءاً من ميلاده وحتى قيامته وصعوده.. وما بعد ذلك.

أما ما يختص بلاهوته فقد سبق شرحه فى أعداد سابقة.

****

هـذه النبوات وغيرها ما هى إلا جانب واحد من **الختم الإلهى** على صحة الكتاب المقدس.. فأى عقل يقبل - وبأى منطق يمكن - أن يقال أن هذه النبوات من وضـع إنسان؟.. إن نبوة واحدة كافية للتدليل على صحة الكتاب، فكم بالحرى وجود هذه النبوات المذكورة ومئات غيرها.

أما عن **الختم الإلهى**، فهو مصطلح كتابى أطلقه الرب يسـوع نفسه على الـ "طَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَـاةِ الأَبَدِيَّةِ" عندما قال: "لأَنَّ هذَا (الطعام) اللهُ الآبُ **قَدْ خَتَمَهُ**" (يو٦:٢٧).

ولما كان الطعام الباقى، هو الرب يسـوع نفسه "خُبْزُ الْحَيَاةِ" (يو٦:٣٥) وقد ختم الله هذا الطعام بالنبوات - كما سـبق ذكره - فربما يتساءل متسائل قائلاً: هذه النبوات تحمل ختم الله وتدل على عدم عبث البشر **بها**، فماذا عن **غيـرها** من التواريـخ والتعاليم والتشجيعات والتحريضات والتحذيرات.. إلخ؟.. ما الذى يضمن عدم العبث بها، هى أيضاً؟

نقول أن ما ينطبق على **الجزء**، ينسحب على **الكل**.. ذلك لأن "كلِّى القدرة " - أى الله - الذى اسـتطاع أن يـحفظ هذا **الجزء** من العبث، لهو قادر على حفظ **الكل**.. وإلا ما كان "كلى القدرة" من هذه الناحيـة.. كقوله: "**لأَنِّي أَنَا سَـاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي** (كلها) **لأُجْرِيَـهَا**" (إر١:١٢).. **وليـس على جزء من كلمتى**.. و"**لأجريها**" بـمعنى لأتممها (الترجمة التفسيرية)، أى لتكتمل، ولتصل كاملة وتامة، إلى النهاية.. نهاية الزمان.. والنهاية المأمولة منها.

وبذلك فإن **ختم الله على الطعام الباقى للحيـــاة الأبدية كجزء - ينســحب على كتابه - ككل** - لاســيـما وأن روح الكتاب كله هو المســـيـــح (طعام الحياة الأبدية).. ذلك لأن "شَهَادَةَ يَسُوعَ هِيَ رُوحُ النُّبُوَّةِ" (رؤ١٩: ١٠).

كتاب آخر وأخير

وهو قمة ما كلم الله به البشر - إن جاز لنا أن نسـميـــه كتاباً - وهو ما أشار إليه كاتب العبرانين: بأن "اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا (أخيراً) فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ" (عب١:١،٢).

فابن الله المتجســد (الحتمية السادسة): هو "الْكَلِمَةُ" (يو١:١)؛ "كَلِمَةَ اللهِ" (رؤ١٩:١٣).. ويــأتى اللفظ بصيـغة المفرد - الكلمة، لا الكلمات - لأنه يــشمل إعلاناً واحداً - وليــس غيـــره - أراد الله أن يعلنه للبشر من خلال ابنه متجسـداً (يو١:١٤) وظاهراً فى الجســد (اتى٣:١٦)؛ مرئياً ومســـموعاً وملموساً، ومعبِّراً عمن هو الله فى كامل ذاته وطبيعته وصفاته وأفكاره وأعماله.. وكل ما يريد الله أن يعلنه للبشر.

لــذلك لم تكن كلمات الابن أيام تجسده ولا عظاته ولا تعاليمه فقط، هى ما أراد الله أن يعلنه للبشر، فهذه المهمة قد قام بمثلها كتبة الوحى، فجميعهم أتوا **بالماء فقط**، أما الابن المتجســد فـ "هذَا هُوَ الَّذِي أَتَى **بِمَاءٍ وَدَمٍ** (إنه)، يَسُــوعُ الْمَسِيحُ. لاَ بِالْمَاءِ فَقَطْ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالدَّمِ" (ايو٥:٦).

ما المعنى؟.. إن الأنبيــاء جاءوا للشعب بالماء أى **كلمة الله** (يــو٣:٥ & أف٥:٢٦).. لكن لم يمت أحد منهم نيابة عن البشر **ويسفك دمه لفدائهم**.

من هنا كان إعلان الله من خلال ابنه المتجســد ليس كلاماً منطوقاً فقط، بل أعمالاً تبيــن بطريـــقة عملية وملموســة، أبرزها عمل الفداء بموت الابن على الصليــب، مظهراً الله بذلك قدر المحبة التى فى قلبه نحو البشر -مع كونهم خطاة لا يــستحقون- "لأَنَّهُ هكَذَا (أى بهذا القدر فائق التصور) أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى (أى إلى درجة أن) **بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ**، لِكَيْ لاَ يَــهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُــؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو٣:١٦).

وعن هذه المحبة المتجســــدة يقول الابن نفسه: "لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: **أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ**" (يو١٥: ١٣).

وقــد استبقنا الأمور عندما ذكرنا الشواهد الكتابية - قبل الحتمية الثامنة - التى تتكلم عن إعلان الله هذا من خلال ابنه وكيف بذله.. وســنرى فى هذه الحتمية كيــف كان حتماً مقضيــاً - بالمنطق قبل المكتوب - أن يبذل الله ابنه الوحيد "فِدْيَةً **لأَجْلِ الْجَمِيعِ**" (١تى٢: ٦).. و"فِدْيَةً **عَنْ** كَثِيرِينَ" (مت٢٠: ٢٨)[٢].

الحتمية الثامنة

هل من المحتم أن يبذل الله ابنه فداء عن البشر؟

الحتمية الثامنة

هل من المحتم أن يبذل الله ابنه فداء عن البشر؟

إذا كان من المنطقى بل من المحتم أن تكون لله صفات (الحتمية الرابعة)، وكان من ضمن هذه الصفات ما يبدو معاكساً لغيره، كما سبق ورأينا فى صفتى الله كالظاهر **وكالباطن**، وجدنا وقتها أن الحل يـــكمن فى أن تكون وحدانية الله وحدانية جامعة.. حتى يكون الله ظاهراً فى تعيُّن، وباطناً فى تعين آخر (الحتمية الخامسة).

إلا أن هناك صفتين فى الله تبدوان متعارضتين، هما صفة **العدالة**، وصفة **الرحمة**، لا يمكن التوفيق بينهما علي ذات القياس.

كـــأن نقول مثلا: أن الله عادل فى أحد تعيناته، ورحيم فى تعين آخر.. أى أن هناك أقنوماً متَّصفاً **بالـــعدالة دون الرحمة**.. وأقنوماً آخر متَّصفاً **بالرحمة دون العدالة**.

وهذا بالطبع محال.. وتلك هى إحدى الإشكاليات التى واجهت -وتواجه- الفلاســـفة والمفكرين ورجال الدين.. ذلك لأن الله **الواحد** فى جوهره، هو **عادل بكل أقانيمه.. ورحيم أيضا بكل أقانيمه.**

وســـــنرى هذه الإشكالية بالمنظور الفلسفى، ثم بمنظور كاتب إسلامى، ثم بالمنظور الكتابى المسيحى.

الإشكالية بمنظور فلسفى، وحلها

لقد تطرق الأستاذ "**نجيب محفوظ**" إلى هذه الإشكالية بأسلوب عبقرى مختصر، فى "أصداء السيرة الذاتية"، إذ توَّجه إلى الشيخ "عبد ربه التايه" بسؤاله: [" كيف تكون نهاية المحنة التى نعيشها (ويقصد الحياة الدنيا)"؟.. فأجابه الشيخ" عبد ربه ": " إن خرجنا سالمين فهى الرحمة، وإن خرجنا هالكين فهو العدل"].

ونلاحظ أن الأستاذ يسأل صاحب اختصاص؛ هو فى الوقت نفسه شيخ.. فمن ناحية **العمر، هو مُسِنٌ** حنَّكته الأيام، **ومن جهة المهنة، هو رجل دين**.. أىَّ دين.. فهو"عبد ربه" أي عبد لربّه هو.. أيا كان ربُّه هذا.

وإجابة الشيخ "عبد ربه" **صحيحة** تماماً كما سجلها الأستاذ "نجيب"، لكنها **مبتسَرة**.. لأنها لم تحدد ما هى النهاية.. إذ تركها الشيخ بين احتمالين؛ احتمال **النجاة**، واحتمال **الهلاك**.. وكما لو كان الأستاذ يسأله ضمناً: "تُرى أى الاحتمالين يكون؟".. ولأن سؤال الأستاذ ضمنى، فإن إجابة الشيخ هى أيضا ضمنية، لم يقلها الشيخ، وإنما انتهى الحوار بالصمت.. وهنا أدرك الأستاذ أن الشيخ ليست لديه إجابة.. من هنا أسماه الشيخ "عبد ربه **التايه**".

فلا توجد إجابة يستطيع الإنسان أن يقترحها لهذه النهاية.. نهاية الحياة الدنيا.

ولما كان الله هو الخالق (الحتمية الثانية).. ولما كان من حقه أن يضع وصايا لخلائقه يعلنها لهم بطريقة أو بأخرى (الحتمية السابعة).. ولما لم ينفذ

وصايــــاه المعلنة أحد.. إذ كان البشر أجمعون قد أخطأوا في حق خالقهم.. ولا أحد يستطيع أن يقول أنه بلا خطية.

لما كان كل هذا، وكان كل إنسان خطّاء، لذلك:

إن عامل الله البشر بالرحمة، ورحمهم، فقد أسقط عن ذاته صفة العدالة، ومـــا ارتبط بها من قداسة، ذلك لأنهم لا يستحقون الرحمة.. وأن عاملهم بالعدالة، وعاقبهم، فقد أســـقط عن ذاته صفة الرحمة، وما يـــتبعها من غفران، ذلك لأنهم يستحقون العقوبة.

فهو إما أن يـــكون رحيماً، وإما أن يكون عادلاً.. ولا يمكن والحال هكذا، أن يتمكن من الجمع بين هاتين الصفتين؛ الرحمة، والعدالة، فى ذات الوقت.

وهى الإشكالية التى تصطدم بمســـتلزمات الألوهية.. إذ تطعن فى إمكانية وجود هاتين الصفتين معاً فى الله.. وتجعله عاجزاً عن الجمع بينهما فى جوهر ذاته الواحد.

الحل الفلسفى

لما كانت هذه الإشكاليـــة لاهوتيـــة (أي تخص الله) - فلزوم التســـلســـل المنطقى، ومع شديد الاعتذار - أقول جدلاً: على الله إذاً أن يجد لنفســـه مخرجاً من هذه الإشكاليـــة، يوفِّق فيه بين هاتين الصفتين؛ ما دام البشر - ويمثّلهم الشيخ "عبد ربه التايه" - **تائهين** مثله، وغير قادرين على واحدة من هذه الحلول:

١- اعتبار الله رحيماً.. بلا عدالة.. وهذا محال.

٢- اعتبار الله عادلاً.. بلا رحمة.. وهذا محال.

٣- اعتبار الله رحيــماً وعادلاً معاً، فى تعارض واضح لهاتين الصفتين.. وهذا محال.

٤- إلغاء وجود هاتيـــن الصفتين فى الله.. أى انتقاص من كامل صفاته.. وهذا محال؛ لعدم وجود نقص في الله "مطلق الكامل" (الحتمية الأولى).

٥- إلـــغاء وجود كافة الصفات لدى الله، مادام يوجد منها ما هو متعارض مـع الأخرى - وذلك من باب الاحتياط - وهذا محال لأنه يعنى إلغاء لوجوده (الحتمية الرابعة).

إذاً من المحال أن يكون حل الإشكالية، **بتغيـــير فى صفات الله**.. أو إلغاء لبعضها.. أو لكلها.. فـ"مطلق الكمال" ثابت لا يتغير.

فإن لم يـــكن الحل فى تغيـــير يمس ذات الله بكل كماله وصفاته، فإنه لن يـــكون إلا في التطبيق.. حيث أن الإشكالية برزت بسبب **التطبيق**.. أى أنه إن **طبق** الله رحمته فقد أســـقط عن ذاته صفه الـــعدالة..وإن **طبـــق** عدالته فقد أســـقط صفة الرحمة.

ولـــما كان **التطبيق** هو على بشر، فحينئذ يلزم أن يكون سبيل الله لحل هذه الإشكالية هو من خلال **التطبيق على بشر.**

ولنر معاً نماذج **جدليـــة مقترحة** لهذا الحل التطبيقى.. ونرى ما هو محال منها.. ليبقى لنا - بعد ذلك - ما هو ليس فقط ممكناً.. بل حتمى.

النموذج الأول

أن يخصص الله قوماً يعاملهم بالرحمة.. وقوماً آخرين يعاملهم بالعدالة.

ولما كان هذا التخصيـــص يـــنطوى على ظلم لفئة دون أخرى - فالفئتان متساويتان فى الخطأ - **تنافى** هذا الحل مع عدالة الله المنزّه عن الظلم.

النموذج الثانى

حتى لا يكون هناك ظلم لفئة دون أخرى، فالحل أن يجد الله من البشر **فئة تقبل طواعيـــة أن يطبق عليها الله عدالته، نيابة عن فئة أخرى، يطبق عليها الله رحمته.**

وهو بحسب الظاهر حلّ غير ظالم، لسبب قبول هذه الفئة هذه البدلية طوعاً، لولا أن هذا الحل يتطلب وجود بشر لم يخطئوا، ولا يستحقون العقاب لما هم عليه فى ذواتهم من ذنوب، حتي يكونوا مؤهلين أن ينوبوا عن غيرهم فى تحمل العقوبة العادلة.

وهذا **محال** لأن مثل هؤلاء غير موجودين - حتى لو قبلوا - إذ أخطأ الجميع.

النموذج الثالث

إن وجد - جدلاً - مثل هؤلاء البشر الذين لم يخطئوا، ويصلحون للنيابة عن غيرهم فى تطبيق عدالة الله عليهم وتحملهم دينونة وعقوبة غيرهم، كان لابد لهؤلاء إما:

١- أن يكونوا "**كاملى المحبة**" حتى يقبلوا طواعية هذه البدلية الرهيبة.. وهذا **محال**، لأنه لا كامل فى محبته إلا الله "كلى المحبة".

٢- أو أن يكونوا **بلا إرادة حرة**.. يسوقهم الله سوقاً إلى هذه المعمعة دون إرادة منهم.. وهذا محال لأنه وإن كان ينطوى على ظلم من الله لهم - كما سبقت الإشارة - فهو أيضا ينطوى على خلل فى تكوين هؤلاء البشر، فى خَلْقِهم بلا إرادة.. وهذا **محال** لأن الله لا يخلق شيئاً به خلل.

النموذج الرابع

إن استحال وجود هؤلاء البشر الذين لم يخطئوا (النموذج الثانى)، واستحال وجودهم كاملى المحبة (النموذج الثالث)، **فليخلق الله إذاً هؤلاء الكاملين خَلْقاً**، أى ذوى إرادة.. **والكاملين خُلُقاً**، أى ذوى محبة.

بالإضافة إلى أنه لا كامل إلا الله؛ "مطلق الكمال"، فإن هناك اعتراضاً آخر يبرز، وهو **كيف ينوب مخلوق عن مولود؟**

فالبشر جميعهم – باستثناء أبوينا آدم وحواء – **مولودون**، ومن ينوب عنهم ينبغى أن يكون **مولوداً** مثلهم لا مخلوقاً.

ما الفرق؟.. إن المخلوق لم يدخل رحماً.. ولا تغذى من حبل سُرى.. ولا أحتُبس عده أشهر فى بطن أمه.. ولا ولد طفلاً صارخاً، دون قدرة على التعبير.. محمولاً، دون قدرة على المسير.. ولا شب مراهقاً له غرائزه الغلاَّبة.. إلى آخر معاناة المولودين، إلى أن يصيروا بالغين.

فإن خلق الله بشراً كاملين – جدلاً – يصلحون للنيابة عن البشرية الحالية، كان هناك طعن فى صلاحيتهم للنيابة، لأنهم لم يولدوا، ولم يكابدوا ما كابده المولودون.. وبالتالى إن كان لهم فضل فى كمالهم، نُسب ذلك إلى أنهم لم يعانوا كغيرهم.. إذ لو كابدوا ما كابده المولودون، لأخطأوا حتماً.. هكذا يكون الطعن.

النموذج الخامس

مادام المخلوق لا يصلح.. فليدبِّر الله مولوداً كاملاً – خَلْقاً وخُلُقاً – وبلا خطية موروثة، كباقى البشر الوارثين الخطية(٣).

وحتى يكون هذا المولود كاملاً، لابد أن يولد بطريقة تمنع وصول جرثومة الخطية الوراثية إليه، من والديه.. وذلك بتحصينه وهو فى الرحم بقوة إلهية علوية، تمنع وصولها إلى كيانه البشرى.. فيولد كاملاً.. أو بلغة الكتاب "قدوساً".

وحيث أن هذا القدوس المولود هو **فرد واحد**، لذلك فمن المحال أن ينوب عن مليارات لا تحصى من البشر على مر الأجيال.. بل بالكاد يكفى لأن ينوب عن **مخطئ واحد فقط** يستحق العقاب.

النموذج السادس

أن يوجد الله – بطريقة أو بأخرى – مواليد كاملين، بقدر أعداد من البشرية لا تحصى.. وبذلك ينقسم العالم إلى فريقين: مليارات أو تريليونات من البشر تستحق القضاء والدينونة.. وتريليونات كاملة خَلْقاً وخُلُقاً، تصلح للنيابة عن الأولى.. ويعيش الفريقان معا على مر الأجيال!.. واحد من هؤلاء، مقابل واحد من أولئك.

وبالطبع هذا كلام **غير منطقى**، بمفهومنا البشرى، فكم يكون محالاً بمفهوم الله.

خلاصة النماذج الستة

كل هذه النماذج والتحليلات الستة، إنما سردت لتبين **عجز الفكر البشرى** عن اقتراح منهم، يقوم به الله.. **للتوفيق فى التطبيق، بين عدالته ورحمته**.. وبذلك يظل الشيخ عبد ربه تائهاً.. ونحن معه بالتبعية تائهون.. فياللحيرة والإحباط.

النموذج السابع

أولاً: أن يــدبر الله **مولوداً** كاملاً خَلْقاً وخُلُقاً، وقدوســاً خالياً من الخطية.. وبالتالى يــصلح لأن يــنوب عن غيره فى تحمل العقوبة، ويمكِّن الله من تطبيق العدالة عليه.. فلا تسقط صفة العدالة عن الله.. ليتبقى لله بعد ذلك صفة الرحمة يطبقها الله على البشر.

ثانياً: وحيث أن **الواحد** لا يمكن أن ينوب عن **المجموع**، فبالتالى ينبغى أن يكون هذا المولود الواحد **غيــر محدود**، حتى يتمكن من النيابة عن جماهير غير محدودة من البشر المخطئين عبر التاريخ.

وليس هذا فقط، بل إن أعداد الجماهير مهما كثرت.. وخطاياها مهما تعاظمت، فــهى فى النهاية **محدودة فى ذاتها**.. لكن خطية واحدة منها، بالنظر لأنها إساءة إلى الله غير المحدود، فهى **إساءة غير محدودة**.

وبالتالى فالاحتيــاج إلى **مولود غيــر محدود**، يــنوب عن غيره من جماهير المولودين، يصبح ملحًّا، لهذين السببين:

١- لأن عدد هذه الجماهير **لا يحصى**.

٢- لأن الإســاءة **غيــر محدودة**، لأنها موجهة إلى الله غيــر المحدود.. وبالتالى فإن العقوبة غير محدودة.

وإن كانت العقوبة غيــر محدودة، فإن واحداً بمفرده - بالتالى - لن يســتطيع تحملها وحده، إلا إذا **كان غير محدود**.

ثالثاً: وحيث أنه لا يوجد غير محدود ســوى **الله نفســه**، وبالتبعية فكل أقنوم من أقانيمه هو غير محدود.

رابعاً: فإن دبر الله **مولوداً كاملاً وقدوســـاً، وحل فيه** من خلال أحد أقانيمه، وجدنا أمامنا:

١- **إنســـانا مولوداً كاملاً قدوساً..** بلا خطية يصلح للنيابة عن واحد فقط من البشر الخطاة المولودين.

٢- **بحلول اللاهوت** فى هذا الإنسان القدوس، يجعل منه بديلاً **غير محدود** تكفى نيابته لتحمل العقوبة.

أ - عما لا يحصى من الخطايا.. **عدداً وكمًّا.**

ب - عما لا يُقدَّر من إساءة إلى الله.. **نوعاً وكيفاً.**

خامساً: بميلاد هذا القدوس، وحلول اللاهوت فيه، يكون الله قد دبر البديل، المولود غير المخلوق، المســـتوفى لجميع الشروط، حتى **يتحمل تطبيق العدالة عليه..** ليـــتوفر لله بعد ذلك إمكانية **تطبيق الرحمة على الخطاة**، مهما كثر عددهم، أو استفحلت خطاياهم.

ســـادســـاً: وحيث أن توفير هذا البديل الإلهى بميلاد القدوس، وحلول اللاهوت فيه من خلال أحد أقانيـــمه، ليـــنوب عن الخطاة مُحتَمِلاً عقوبتهم كاملة، يـــســـتوجب بالـــضرورة أن تكون محبة الله للخطاة غيـــر محدودة.. لذلك فإن الله من فرط محبته هذه، إن ضحَّى بمن هو محبوب عنده، كان ذلـــك فى تمام توافق صفات الله الكاملة.

سابعاً: وحيث أنه لا يوجد لدى الله من هو أحب إليه من أقنوم المحبوب (الحتمية السادسة)؛ ألا هو "**الابن الوحيـــد**".. موضوع محبة الآب أزلاً أبداً، لذلك فإن هذا البديل لن يـــكون إلا الابن الأزلى الوحيـــد الحبيب.. ولكن متجســـداً فى ملء الزمان.. ومولوداً بجسده من امرأة.

وهكذا تنطبق الشروط الواجب توافرها فى البديل، وهى:

١- أن يكون **إنساناً**، لكى ينوب عن الإنسان.

٢- أن يكون **مولوداً** غير مخلوق، لينوب عن المولودين.

٣- أن يكون **قدوساً**، صالحاً للنيابة عن غيره.

٤- أن يكون **غير محدود**، لكى يتحمل العقوبة غير المحدودة.

ثامناً: طالما اكتملت هذه الشروط فى إنسان.. مولود.. كامل.. قدوس.. غير محدود.. تأهل للقيام بعملية النيابة.

تاسعاً: إذ يتوفَّر لله هذا البديل -ألا وهو الابن الحبيب متجسداً- عندئذ **يبذله الله لأجل الخطاة**، أى يضعه تحت سيف العدالة الإلهية المطلقة.. ليوقع عليه العقوبة غير المحدودة، التى - كما رأينا - لا تتناسب فقط مع تعاظم الخطايا عدداً، بل أيضاً مع عدم محدوديتها كيفاً.. وبالتالى يكون الله **لم يسقط عن ذاته صفة العدالة، إذ طبقها على ابنه الوحيد الحبيب.**

عاشراً: إذ يطبق الله العدالة وعقوبتها على ابنه، يتسنَّى له بعد ذلك أن **لا يسقط صفة الرحمة عن ذاته، بأن يطبقها على كل من يقبل نيابة الابن عنه.**

حادى عشر: لا يكون الله - بعد ذلك (أى بعد أن يبذل ابنه عن الخطاة) - قد أسقط أياً من هاتين الصفتين عن ذاته؛ **الرحمة، والعدالة.. بل تم التوفيق بينهما**، يبذل إبنه الوحيد نائباً عن الخطاة.

كل هذا **بالعقل والمنطق**، قبل الرجوع للكتاب المقدس

أى من المحتم -بالعقل والمنطق- أن تكون **وحدانية الله جامعة** (الحتمية الخامسة).

ومن **المحتم** أن يكون لله ابن (الحتمية السادسة).

ومن المحتم كما أثبتنا توًّا أن يبذل الله ابنه عن الخطاة.

فإن حدث هذا، وقد حدث - كما سنرى ذلك لاحقاً، عند الاستشهاد بالكتاب المقدس - يكون قد تم التوفيق بين رحمة الله وعدالــــته، دون اســـقاط أيـــاً منهما.

وبالتالى، لن يــصبح الشيـــخ "عبد ربه" - أياً كان ربه هذا - **تائهاً بعد الآن**.. وبالتبعية لن يبقى البشر **تائهين** من حيث معرفة النهاية.

اعتراض والرد عليه

الاعتراض: ربما يــعترض البعض بأن هذا الحل بأن يـــبذل الله ابنه فدية من أجل الــجميع، إنما ينطوى على ظلم لهذا الابن.. ولما كان من المحال أن يكون الله ظالماً، كان هذا الحل غير قابل للتطبيق.

الرد: يكون الله ظالماً لابنه لو أجبره على أن يتجســد ويموت من أجل الخطاة، لكن دعــنا نستبق الحل الكتابى الذى سيأتى ذكره، لنرد بالشواهد الكتابية التى تؤكد أن الابن لم يبذله الآب فقط، **بل هو أيضاً بذل نفسه:**

١- "إِنْ **جَعَلَ** (المسيح) **نَفْسَهُ** (باختياره) ذَبِيحَةَ إِثْمٍ" (إش٥٣: ١٠).

٢- "لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ **يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ** (بمطلق إرادته) لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو١٥: ١٣).

٣- قــول المسيح عن نفسه: "لأَنِّي **أَضَعُ نَفْسِي** (بكامل حريتى) لآخُذَهَا أَيْضًا. لَـيْـسَ أَحَدٌ يَـأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي **سُـلْطَانٌ** (مطلق السلطان) **أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا**" (يو١٠: ١٧، ١٨).

٤- "إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِـــبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ **أَخْلَى نَفْســـهُ** (بكامل موافقته)، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ.... **وَضَعَ نَفْسَهُ** (بكل رضائه) وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فى٢: ٧، ٨).

٥- أكثر من هذا نقرأ: "مِنْ **أَجْلِ السُّـرُورِ** الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ" (عب١٢: ٢).. إحتمله ليس بحريته فقط، بل بسرور أيضاً.

الإشكالية بمنظور كاتب إسلامى، وحلها

لا أدعى إلمامى بكل ما يقوله الإسلام عن هذه الإشكالية، أو حلها.. لكنى أنقل رأى كاتب نابه هو الدكتور: "**أيمن الجندى**"، بهذا الخصوص، نشره فى جريدة المصرى اليوم، بتاريخ ٢٠١٩/١٢/١١.. تحت عنوان عن "**الخزى يوم القيامة**".. فكتب سيادته: [".... كل يوم عشناه بالساعة والدقيقة، سيعاد عرضه (فى الآخرة) بالصوت والصورة.

وسنشاهد حياتنا بالكامل ونعيشها مرة أخرى، لنكتشف أننا أسوأ بكثير مما نظنه فى أنفسنا، بل أسوأ أيضاً من تصور ألدّ أعدائنا.

إذا حُوسبتُ بهذه الطريقة منذ بلوغى وحتى وفاتى، موقفاً بموقف وساعة بساعة، **فإنى هالك لا محالة** لذلك قال رسولنا المصطفى، صلى الله عليه وسلم: "من نُوقش الحساب عُذِّب"

المؤكد أننا سنخرج من هذا العرض ونحن نحتقر أنفسنا أشد الاحتقار، ونكرهها غاية الكراهية، لأننا سنشاهد وجهاً لنا لم نكن نعرفه من قبل أو نفطن إلى وجوده.

تأمل قوله تعالى: "لَمَقْتُ الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون"، فالقرآن هنا يثبت مقت النفس.

إن سيدنا إبراهيم عليه السلام، أبو الأنبياء، الذى اتخذه ربه خليلاً بنص القرآن: "واتخذ الله إبراهيم خليلاً"، وجعله للناس إماماً: "إنى جاعلك للناس إماماً"، للناس كل الناس! حتى رسولنا المصطفى كان أبوه إبراهيم

هو القدوة له: "ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً".

رجل يحبه ربه كل هذا الحب، ومع ذلك يخاف الخزى يوم القيامة، وتجئ هذه العبارة على لسانه: "ولا تُخزنى يوم يبعثون. يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون" يا إلهى!

وهذا معناه أنه - هو نفسه - **يشعر بالسيف المسلط على عنقه!** وأنه حتى "أبو الأنبياء" لا يأمن حقيقة نفسه. ويخشى أن تفاجئه (هذه الحقيقة) يوم الحساب الأكبر.

بصراحة لا أجد ما أقوله سوى ما تقوله الملائكة يوم القيامة حين يشاهدون غضب خالقهم: "اللهم سلّم".]

انتهى كلام الدكتور "أيمن".. وتعليقنا: أنه يقول أنه لا أحد فوق المساءلة أمام عدالة الله، حتى لو كان "أبا الأنبياء"؛ إبراهيم خليل الله، وإمام الناس.. وفى مواجهة هذه العدالة **نحن هالكون لا محالة**، حسب نص قوله، لأن "من نُوقش الحساب (أى تم التحقيق معه، يوم حسابه) عُذِّب".. أى عُوقب.

لذلك ليس للإنسان - يوم القيامة - من حل سوى ما تقوله الملائكة: "**اللهم سلِّم**".. مستمطراً **رحمة الله.**

فالأمل الوحيد أمام الإنسان - فى ذلك اليوم - هو **ألا يعامل بالعدالة، بل بالرحمة .. رحمة الله التى وسعت كل شئ.**

وفى هذا ينشد الموسيقار "محمد فوزى" من كلمات الشاعر "عبد الله شمس الدين":

يارب يا سند الضعاف أتيت فى

ضعف المحب وفى شرود الحائر

أنت الــكريــم فما لــمنحك ممســك

والأمــــــــر أمرك فى عطاء غامر

أنا لــيــس لــى حق لــديــك وإنما

أمل الــضعيــــف أمام عفو الــقادر

بمعنى أنه طبقاً للعدالة ليـــس لى لديك يارب الحق فى أى شئ.. لكن من عـطائك الغامر ورحمتك، آمل أن أنال عفوك.. فأنت القادر على العفو وأنت الكريم فى المغفرة.

الإشكالية بمنظور العهد القديم، وحلها

لم يكن الأستاذ "نجيب محفوظ" هو أول من تناول إشكالية استحالة التوفيق بين رحمة الله وعدالته، بل سبقه كثير من المفكرين والفلاسفة.. وقد سبق الكل، رجال الله فى العهد القديم.. وهذه مجرد أمثلة:

أولاً

فساد البشر

يكتب المرنم: "**الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا**، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (مز ١٤:٣ & مز ٥٣:٣).

ثانياً

عدالة الله فى التشريع

يقول موسى عن الرب: "لَهُ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ **عَادِلَةٌ** مِثْلُ كُلِّ هذِهِ **الشَّرِيعَةِ** الَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ" (تث ٤:٨).. ويكتب المرنم: "**عَادِلَةٌ شَهَادَاتُكَ** إِلَى الدَّهْرِ" (مز ١١٩:١٤٤).

ثالثاً

عدالة الله فى القضاء

يكتب داود: "اَللهُ **قَاضٍ عَادِلٌ**" (مز ٧:١١).. وأيضاً: "لأَنَّ الرَّبَّ **عَادِلٌ وَيُحِبُّ الْعَدْلَ**" (مز ١١:٧).. ويتساءل ابراهيم: "أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ **عَدْلاً؟**" (تك ١٨:٢٥).. ويجيب النبى: "اَلرَّبُّ عَادِلٌ فِي وَسَطِهَا **لاَ يَفْعَلُ ظُلْمًا**"

(صف ٣:٥).. ويكتب موسى: "إِنَّ جَمِيعَ سُبُلِهِ عَدْلٌ. إِلهُ أَمَانَةٍ لاَ جَوْرَ فِيهِ. **صِدِّيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ**" (تث ٣٢:٤).

رابعاً

عدالة الله في الدينونة

مـع أن الدينونة هى عمل الله الغريب (إش ٢٨:٢١)، إلا أن المرنم يكتب: إِنْ لَمْ يَرْجِعْ (عن قضائه العادل) يُحَدِّدْ (يصقل) سـيْفَهُ. **سَدَّدَ نَحوَهُ** (نحو الخاطئ) **آلَةَ الْمَوْتِ** (مز ٧:١٢).. لأنه خاطئ ويستحق العقوبة العادلة.

وحيث أن الله لا يرجع عن قضائه، فإنه يصوب نحو الخاطئ آلة الموت.. أى **يـوقع عليه الحكم بالموت**، لا سيما **الموت الأبدى**.. وهو قضاء سار على جميع الناس، كما يذكر المرنم فى نفس المزمور: "الرَّبُّ يَدِينُ **الشُّعُوبَ**" (مز ٧:٨).

خامساً

الطلبة المستحيلة

طالما أن العدالة ستُمارس، ولن يُسقطها الله عن ذاته.. وطالما أن الدينونة سـتأخذ مجراها، أفلا توجد ثغرة فى القانون الإلهى يستطيع الله أن يستثنى بها أحداً من الـعقوبة، بما لا يـتعارض مع عدالته؟.. وهو ما طلبه المرنم: "**بِعَدْلِكَ** نَجِّنِي" (مز ٣١:١ & ٧١:٢).. و"**بِـعَدْلِـكَ** أَحْيِـنِي"[٤] (مز ١١٩:٤٠).. أى أن كاتب المزمور **لا يطلب إسـقاط العدالة**، بل تطبيقها، مع احتمال وجود استثناء يعفى من العقوبة العادلة، ويصل به إلى النجاة والحياة.

ولـعدم وجود ثغرات أو اسـتثناءات فى قضاء الله العادل على الجميـع، فطلبة المرنم **مستحيلة**.

سادساً

الإعفاء من المحاكمة

طالما أنه لا استثناء لأحد، لأى سبب، فإن المرنم من فرط ورطته (وهى ورطة عامة للجميع) يلجأ إلى طلب آخر.. لعل وعسى يُستجاب طلبه فيقول: "**لاَ تَدْخُلْ فِي الْمُحَاكَمَةِ مَعَ عَبْدِكَ، فَإِنَّهُ (طبقاً لعدالتك) لَنْ يَتَبَرَّرَ قُدَّامَكَ حَيٌّ**" (مز ١٤٣: ٢).

وهى **طلبة مستحيلة أيضاً**.. إذ تتعارض مع عدالة الله.. فالعدالة، بصفة عامة، تقتضى ألا يُدان أحد دون محاكمة عادلة.. وذلك:

أولاً : طبقاً للناموس.. كقول نيقوديموس للفريسيين: "**أَلَعَلَّ نَامُوسَنَا يَدِينُ إِنْسَانًا لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ أَوَّلاً وَيَعْرِفْ مَاذَا فَعَلَ؟**" (يو ٧: ٥١).

ثانياً: طبقاً للقانون الرومانى.. كقول فستوس الوالى للملك أغريباس: "أَنْ لَيْسَ لِلرُّومَانِيِّينَ عَادَةٌ أَنْ يُسَلِّمُوا أَحَدًا لِلْمَوْتِ قَبْلَ أَنْ **يَكُونَ الْمَشْكُوُّ عَلَيْهِ مُواجَهَةً مَعَ الْمُشْتَكِينَ، فَيَحْصُلُ عَلَى فُرْصَةٍ لِلاحْتِجَاجِ عَنِ الشَّكْوَى**" (أع ٢٥: ١٦).

فكم يكون، بالحرى، ماتقتضيه عدالة الله.

سابعاً

اقتراح المصالحة

طالما أنه لا استثناء، ولا إعفاء، ولابد من محاكمة المخطئ فإن أيوب يطلب **المصالحة** مع الله.. لا المحاكمة.. فلا يدخلها.. إذ لن يتبرر أمام الله حى، لو حاكمه الله.

وإذ تمنى أن يجد بين البشر مصالحاً له مع الله، ولم يجد – فالجميع قد

أخطأوا، ويحتاجون مثله إلى مصالح – كتب : "**لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ** يَضَعُ يَدَهُ عَلَى كِلَيْنَا. لِيَرْفَعْ عَنِّي عَصَاهُ (أى تنفيذ الحكم) وَلاَ يَبْغَتْنِي رُعْبُهُ" (أي ٩: ٣٣،٣٤).

ثامناً

مطاليب المصالحة

إن لم تقم المحاكمة.. وإن قُبل مبدأ المصالحة.. فإن هذه المصالحة تحتاج إلى ديَّة تُدفع حتى تُقبل المصالحة.. وليس لدى البشر ديَّة يقدمونها أكثر من تقديم ذبائح لله حتى يرضى عنهم.. إلا أن الذبائح هى ديَّة غير كافية فى ذاتها.

وهذا ما أدركه – بالروح – رجل الله داود من أن هذه الذبائح لن تكفى للمصالحة، فكتب مخاطبا الله: "**لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ** وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. **بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى**" (مز ٥١: ١٦).. وكتب أيضاً (على لسان الرب يسوع المسيح): "**بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ**.... **مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ**" (مز ٤٠: ٦).

تاسعاً

انعدام امتلاك البشر مطاليب مقبولة من الله

إذ انعدم لدى البشر امتلاك ما يسدد هذه المطاليب **بذبيحة أو محرقة حيوانية أو تقدمة مادية**، كفدية بديلة لهم، تنوب عنهم فى تحمل العقوبة، من ثم توفر لهم مصالحة مع الله على أساس عادل، ذهب الفكر إلى تقديم **ذبائح بشرية**، فبالاضافة إلى تحريمها فى الناموس، وإدانة مقدمها (تث ١٢: ٣١ & ١٨: ١٠ & إر٧: ٣١)، إلا أنها لم تكن لتُقبل، لو قدمت – جدلاً – إذ "هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ **مَعْصِيَتِي، ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي**؟" (مى ٦: ٧).. كلا بالطبع.. فـ "**الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً**، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ. وَكَرِيمَةٌ هِيَ فِدْيَةُ نُفُوسِهِمْ، **فَغَلِقَتْ إِلَى الدَّهْرِ**. حَتَّى يَحْيَا (هذا

الإنسان الذى يفديه أخوه) إِلَى الأَبَدِ فَلاَ يَرَى الْقَبْرَ" (مز٤٩: ٧-٩).

وفى الترجمة اليسوعية ترد: "**لا يفتدى أحد أخاه ولا يعطى لله كفارة عنه**".

لأنه إن كان الأخ لا يقدر أن يفدى نفسه.. فكيف يفدى أخاه؟.. ذلك إن طبقت العقوبة عليه، لأنه يستحقها، ما بقى شيء لأخيه ليفتديه به.

فنفس الإنسان ثمينة.. أثمن من العالم كله بذبائحه وذهبه وفضته وأنهار زيته.. من ثم غلقت فدية نفسه إلى الدهر.

عاشراً

رحمة الله

طالما أُغلقت كل المنافذ التى تخرج الإنسان من ورطة محاكمته أمام الله، صار الأمل معقوداً فقط على رحمة الله.. وفى هذا يكتب أيوب: "لأَنِّي وَإِنْ تَبَرَّرْتُ (يقصد بأعماله) لاَ أُجَاوِبُ (لأنه أمام الله يستد كل فم، أى لا تنفعه أعماله)، **بَلْ أَسْتَرْحِمُ دَيَّانِي**" (أي٩:١٥).. لاسيما وإن "**رَحْمَةُ اللهِ هِيَ كُلَّ يَوْمٍ!**" (مز٥٢:١) و"امْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْ **رَحْمَةِ الرَّبِّ**" (مز٣٣:٥).. فـ"كُلُّ سُبُلِ الرَّبِّ **رَحْمَةٌ وَحَقٌّ** (ولاحظ **الرحمة والحق معاً**) لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَشَهَادَاتِهِ" (مز٢٥:١٠).. لأن "الرَّبُّ **رَحِيمٌ** وَرَؤُوفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ **وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ**" (مز ١٠٣:٨).

ولأن الرحمة غير منفصلة الحق (مز ٢٥:١٠)، نقرأ: "لأَنَّ عِنْدَ الرَّبِّ **الرَّحْمَةَ** وَعِنْدَهُ **فِدًى كَثِيرٌ**، وَهُوَ **يَفْدِي** إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ آثَامِهِ" (مز١٣٠:٧-٨).. فعلى أساس **الفدى** يطبق الله **الرحمة**، حتى يكون **عادلاً**.. وهو فدى **كثير**، أى واسع المدى.. حتى يشمل الكثيرين - لا إسرائيل فقط - كما أن بداية العبارة "**لِيَرْجُ**.... الرَّبَّ" (الشاهد السابق).. **فالرجاء كله موقوف على رحمة الرب للبشر، وتدبيره الفدى لهم.. لا على عدالته فى تطبيق الحكم عليهم.**

حادى عشر

محبة الله

"**بِمَحَبَّتِهِ** وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ" (إش٦٣:٩).. "كُنْتُ أَجْذِبُهُمْ بِحِبَالِ الْبَشَرِ، **بِرُبُطِ الْمَحَبَّةِ**" (هو١١:٤).. "**أَحْبَبْتُكُمْ**، قَالَ الرَّبُّ" (ملا١:٢).. "**مَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ**، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ **الرَّحْمَةَ**" (أر٣١:٣).

والمعنى: أن الله إذ رأى عجز البشر حيال عدالته، دبَّر لهم من فرط **محبته الأبدية**، حلاًّ يستطيع من خلاله أن يجزل **لهم الرحمة**، بل **ويديمها**، بما لا يتعارض مع عدالته المطلقة.. عن طريق فدية تكون مقبولة لديه.

ثانى عشر

الحل الإلهى

اذا استحال لدى البشر، وجود – أو إيجاد – فدية حيوانية أو بشرية مقبولة منهم لدى الله، واستحكمت حلقاتها، فانعدم وجودها، لذلك، أى لعدم وجود حل لديهم، يبرز الله فى مطلق رحمته ومحبته، مقدماً الحل.. وهو: تقديم **فدية من جانبه هو، لتكون مقبولة لديه**، يعاملها بالعدالة، ويطبق عليها العقوبة **العادلة**.. حتى يتسنى له، إذ ذاك، أن يعامل البشر **بالرحمة**.. فلا تكون قد سقطت بذلك أياً من هاتين الصفتين؛ الرحمة والعدالة.

ولتواجد هذه الفدية لدى الله فإنه يعلن ذلك، على فم "أليهو" – **متحدثاً رسمياً** عن الله فيقول لأيوب: "هأَنَذَا.... **عِوَضًا عَنِ اللهِ**" (أى٣٣:٦).. ولتحقيق أمنية أيوب، يقول: "هأَنَذَا حَسَبَ **قَوْلِكَ**" (الشاهد السابق).. أى أتيت لأخبرك – عوضاً عن الله – أن لديه إمكانية تحقيق أمنيتك يا أيوب فى إيجاد مصالح (البند سابعاً).. إذ لديه الوسيط الفريد؛ بقوله: "إِنْ وُجِدَ عِنْدَهُ (عند الله) مُرْسَلٌ، وَسِيطٌ

وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ" (أى ٣٣:٢٣).. فهو ليس وسـيطاً عادياً، بل **واحد من ألف**.. وهذا أقصى ما يـسـتطيع أليهو، أن يعلنه لأيوب، عن ندرة هذا الوسـيط.. أما عروس الـنشيد فتمتد رؤيتها عن ندرة هذا الشخص بقولها: "مُعْلَمٌ بَيْنَ رِبْوَةٍ (عشرة آلاف)" (نش ٥:١٠).. أما فى العهد الجديد - كما سـيأتى ذكره - فهو **ليس فقط واحداً من ألف**.. ولـيـس **فقط واحداً من عشرة آلاف، بل الواحد والوحيد من البشر أجمعين**، الذى يصلح لأن يكون وسيطاً بين الله والناس.

مـاذا يعلن هذا الوسيط؟.. "يُعْلِنَ لِلإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ" (أى٣٣:٢٣).. استقامة من؟.. **اسـتقامة الله**.. وبالذات **عدم اسقاط صفة العدالة عنه**.. مع **استمرار صفة الرحمة**.. كيـف؟.. لوجود الفديـة.. فيـقول "أليـهو": "يَتَرَاءَفُ (الله) عَلَيْهِ (على الإنسان) وَيَقُولُ (الله): أُطْلِقُهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ (حفرة الهلاك)، **قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً**" (أى٣٣:٢٤).. فالله هو من لديه الفدية: "**إِنَّمَا اللهُ يَفْدِي نَفْسِـي** مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ لأَنَّهُ يَأْخُذُنِي" (مز ٤٩:١٥).

فإن عامل الله الفديـة بالعدالة، وعامل الإنسـان بالرحمة فى ذات الوقت **أعلن بذلك استقامته، موفقاً بيت عدالته ورحمته**.

وسـنرى ذلك عند تناولنا الموضوع بمنظور العهد الجديـد، لإظهار (بر الله)، لـيكون **باراً مستقيماً عادلاً** من جهة (رو٣: ٢٤-٢٧).. **ورحيماً رؤوفاً حناناً، من الجهة الثانية، فى ذات الوقت**.

ثالث عشر

الله يدبّر الفدية

قبل أن يـحدثنا العهد الجديد عن هذه الفدية التى دبرها الله - ولأن كلامنا حتى الآن مسـتمدٌ من الـعهد القديـم - فإن هذه الفديـة تبرز بوضوح من خلال

الذبائح.. وكذلك الممارسات، كتقديم إبراهيم إسحق ابنه محرقة.. وغير ذلك من الرموز.

إلا أن هناك نصوصاً واضحة وضوح الشمس فى العهد القديم، تبين أن الله قد جهز هذه الفدية.. وصبَّ عليها كل أجرة خطايانا.. فنقرأ فى (إشعياء ٥٣) هذه العبارات: "وَهُوَ مَجْرُوحٌ **لأَجْلِ** مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ **لأَجْلِ** آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا (ونجاتنا من الدينونة) **عَلَيْهِ**، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ **وَضَعَ عَلَيْهِ** إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ (من البشر) أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ.... إلخ" (عدد ٥-٨).

من تراه هذا المجروح - فدية - من **أجل** معاصينا.. المسحوق - كفارة - من **أجل** آثامنا.. الذى **حمل** تأديبنا وقضاءنا.. **ووُضع عليه** إثم حميعنا.... إلخ؟

رابع عشر

كشف الكتاب عن هذه الفدية

لما كان إشعياء النبى قد كتب لنا عن هذا المجروح فدية عن معاصينا... إلخ.. ولم يذكر لنا من هو.. الأمر الذى جعل "الخصى الحبشى" -فى العهد الجديد- عندما قرأ هذا النص - كشخص عادى - يسأل فيلبس: "عَنْ مَنْ يَقُولُ النَّبِيُّ (إشعياء) هذَا؟ عَنْ نَفْسِهِ أَمْ عَنْ وَاحِدٍ آخَرَ؟ فَفَتَحَ فِيلُبُّسُ فَاهُ وَابْتَدَأَ مِنْ هذَا الْكِتَابِ (كتاب إش ٥٣) فَبَشَّرَهُ بِيَسُوعَ" (أع ٨:٣٤،٣٥).. معلناً الروح القدس - على فم فيلبس - أن ما تكلم عنه أشعياء كفدية، هو **يسوع**.

خامس عشر

انطباق الشروط المنطقية على الفدية

رأينا فيما سبق - **بالمنطق قبل الكتاب** - أن شروط الفدية هى:

١- أن تكون الفدية **إنساناً**.. حتى ينوب عن الإنسان.

٢- أن يكون **مولوداً**.. حتى ينوب عن المولودين.

٣- أن يكون **قدوساً**.. حتى لا تكون نيابته عن نفسه.

٤- أن يكون غير **محدود**.. حتى تكفى فديته للجميع.

ومن العهد القديم - قبل الجديد - نجد أن الفدية، وهى يســوع المسيح، قد انطبقت عليها - أو انطبقت عليه - هذه الشروط:

١،٢- فهو **الإنســان**، وهو **المولود**.. إذ يكتب إشعياء: "**لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ** وَنُعْطَى ابْنًا.... وَيُدْعَى اسْمُهُ **عَجِيبًا**" (أى بخلاف كل المواليد فى كون ولادته من عذراء) (أش ٩:٦ & ٧:١٤).

٣- وعجيب فى ولادته **قدوساً**.. إذ يضيف النبى إشعياء أنه: يجلس "عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا **بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ**" (إش ٩:٧).

٤- وعجيب فى كونه **غير محدود** إذ "يُدْعَى اسْمُهُ.... مُشِيرًا، **إِلهًا قَدِيرًا**، أَبًا أَبَدِيًّا" (إش٩:٦).. فهو الابن الأزلى المتجسد الذى لسان حاله فى المزمور "قَالَ (الرب) لِي: **أَنْتَ ابْنِي** (الأزلى بدون ولادة)، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ (فى ملء الزمان).

فهو **الإنســـان المولود القدوس**، **غير المحدود** فى لاهوته، والذى تصلح وتكفى فديته من أجل الجميع.

سادس عشر

لصالح من هذه الفدية

إن كـان الله قد قدم هذه الفدية، فلصالح من؟.. إن كان لصالح من سيفديهم بها، فهذا لم يـكن ليـكون بالدرجة الأولى.. ذلك لأن الفديـــة هى **أولاً لصالح الله نفسه**.. حتى يستطيع أن يوفق بين عدالته ورحمته.

والرمز يشير إلى ذلك.. ففى الرمز عندما ســـأل إسحق أباه إبراهيم: "يَا أَبِي!.... أَيـْـنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟" (تك ٢٢:٧).. فرد عليه ابراهيم: "«اللهُ **يَرَى لَهُ** الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَـا ابْنِي»" (تك٢٢:٨).. يــرى له.. فالأمر **يخص الله** بالدرجة الأولى.. قبل أن يخص الولد أو أباه.

لذلك **يرى الله** – وليس ابراهيم – **الخروف لنفسه أولاً**.. ويجهّزه **لإبراهيم بعد ذلك**.. ليقدمه ويصعده محرقة عوضاً عن ابنه إسحق.

كما أن ميـــخا النبى أيضاً يذكر هذا.. فعن مولود بيت لحم، الذى سـيُقدم فديـــة، يقول الرب: "أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ.... فَمِنْكِ **يَخْرُجُ لِي** الَّذِي يَكُونُ مُتَسَـلِّطًا عَلَى إِسْـرَائِيـلَ" (مى٥:٢).. من هو؟.. إنه "قَاضِيَ إِسْـرَائِيــلَ" الذى يضربونه "**بِقَضِيبٍ عَلَى خَدِّهِ**" (مى٥:١).

إنه إذاً يسوع؛ وليد بيت لحم.. الذى لطمه الجنود على (خده) (يو ١٩:٣).. ولماذا ولد؟.. الإجابة: "**يخرج لى**"، أى من أجل الله.. قبل أن يكون مجيئه من أجل البشر.

سابع عشر

ارتباط الرحمة والحق

هناك شواهد كثيــرة من العهد القديــم تؤكد لزوم ارتباط **الرحمة والحق**، لــدى الله.. وعدم إسقاط أياً منهما.. مثل: "**بِالرَّحْمَةِ وَالْحَقِّ** يُستَرُ الإِثْمُ" (أم١٦:٦).. و"أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ **رَحْمَةً وَقَضَاءً**" (ار٩:٢٤).

ومطلوب أيــضاً من الإنســان أن يــحفظ **الرحمة والحق**.. مثل: "احْفَظِ **الــرَّحْمَةَ وَالْــحَقَّ**، وَانْتَظِرْ إِلــهَكَ دَائِمًا" (هو١٢:٦).. و"لاَ تَدَعِ **الــرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ** يَــتْرُكَانِكَ" (أم٣:٣).. و"أَمَّا **الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ** فَيَهْدِيَانِ مُخْتَرِعِي الْخَيْرِ" (أم١٤:٢٢).. و"**الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ** يَحْفَظَانِ الْمَلِكَ" (أم٢٠:٢٨).

مما يدل على اســتحالة إسقاط أى صفة من هاتين الصفتين.. لا لدى الله، ولا فى ما هو مطلوب من البشر.

****

كل هذا من العهد القديم مما حدا بالمرنم أن يكتب عن **حل هذه الإشكاليــة** فى (مز٨٥:١٠)، "**الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا**".. فى توافق عجيب: لا تُسقِطُ صفة فيه، الصفة الأخرى.

الإشكالية بمنظور العهد الجديد، وحلها

أولاً

فساد البشر

"لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (رو٣:١٠-١٢).. إذ "أَخْطَأَ الْجَمِيعُ"(رو٥:١٢).

ثانياً

عدالة الله فى التشريع

"كَلاَمُكَ هُوَ حَق" (يو١٧:١٧).

ثالثاً

عدالة الله فى قضاء

"كَانَ (المسيح) يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل" (١بط ٢:٢٣).. "وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ...." (رؤ١٩:١١).

رابعاً

عدالة الله فى الدينونة

"الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ" (٢تى٤:٨).. ويقول الرب: "كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ" (يو٥:٣٠).

خامساً

الطلبة المستحيلة

طالما أنه لابد من تطبيق العدالة، فالبحث يتجه إلى وجود اســـتثناء إما فى القانون.. أو لأشخاص بعينهم.

ولعدم وجود أية استثناءات نقرأ: "..... لِيَنَالَ **كُلُّ** وَاحِدٍ (بدون استثناء **لأحد**) مَا كَانَ (أى وقت أن كان) بِالْجَسَـدِ بِحَسَبِ مَا **صَنَعَ** (بدون استثناء لأى **فعل**)، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا" (٢كو٥:١٠).. حتى ما يعتبره الناس من الصغائر، كالكلام مثلاً، يقول الرب عنه: "وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا **حِسَابًا** يَوْمَ الدِّينِ" (مت١٢:٣٦).. بلا استثناء لأى كلمة.

سادساً

الإعفاء من المحاكمة

إن لم توجد اســـتثناءات فى المحاكمة، فالفكر يتجه إلى إلغاء المحاكمة من الأســـاس.. وهذا مستحيل كما نقرأ : "**لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا** (جميع البشر) نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ" (٢كو٥:١٠).

وقد رأى الـــرســـول يـــوحنا فى رؤيـــاه "....عَرْشًا عَظِيـمًا أَبْيَـضَ" (رؤ٢٠:١١) (عرش الدينونة، ناصع البياض، لعدالته وقداســـته) (الشاهد السابق).. ثم رأى "الأَمْوَاتَ **صِغَارًا وَكِبَارًا** وَاقِفِينَ أَمَامَ اللهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ.... **وَدِينَ الأَمْوَاتُ** مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ" (رؤ٢٠:١٢).

سابعاً

اقتراح المصالحة

هو اقتراح غيـــر عملى، لعدم وجود المُصالح لدى البشر، كما ذكر أيوب (أى٩:٣٣).. ومع هذا فهو أمر قائم فى العلاقات بيـــن الناس فى حالات الحرب.. فالضعيف "**يُرْسِلُ سِفَارَةً** (للقوى) **وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ**" (لو١٤:٣٢).

وكان الأحرى أن يـــبحث البشر عن مُصالح مثل أيـــوب.. ومثل صاحب الجيـــش الضعيف.. لكن الإنســـان فى غيه لم يَسْـــعَ إلى مصالحة كهذه.. ولا إلى مصالح.. ولا إلى وسيط.

الذى حدث هو العكس – كما ســـيأتى ذكره – فالله هو الذى بدأ بالســـعى للمصالحة.

ثامناً

مطاليب المصالحة

للمصالحة مع الله مطاليب.. ماهى؟.. هى الدم.. لأنه "**بِدُونِ سَـــفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!**" (عب٩:٢٢).. ذلك لأن المطلوب هو إمَّا دم الخاطئ المُدان.. أو دم الـــفدية.. لماذا؟.. ذلك "**لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ.... لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ**" (لا ١٧:١١).

تاسعاً

انعدام امتلاك البشر مطاليب مقبولة من الله

والمقصود بالمطاليـــب المقبولة، الدم البديـــل عن النفس، حتى تُعفى من العقاب العادل.. لم يقدم الإنســـان إلى الله قديماً إلا دماء الذبائح "**الَّتِي لاَ تَسْـــتَطِيعُ**

الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيـــَّةَ" (عب١٠ :١١).. "**لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا**" (عب١٠ :٤).. مما يبين إفلاس الإنســـان تحت الناموس، وعدم امتلاكه الدم الـــكافى لـــلتبريـــر والمصالحة مع الله.. "**لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ** (وذبائحه وتقدماته وقرابينه) **لاَ يَتَبَرَّرُ** جَسَدٌ مَا" (غل٢ :١٦).

عاشراً

رحمة الله

وأمام عجز الإنســـان على تلبيـــــه مطاليب الله، ظهرت **رحمة الله** لعلاج الأمر.

وفى تســبحة مطوبة الأجيال العذراء مريم، نجدها تشير إلى هذه الرحمة، قبل ميـــلاد القدوس يـــســـوع منها، بقولها عن الله أن: "**رَحْمَتُهُ** إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ" (لو١ :٥٠).

ويكتب الرسول بولس: "اَللهُ الَّذِي هُوَ **غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ**" (أف٢ :٤).

وكـما رأينا **العدالة** فى البنود (ثانياً وثالثاً ورابعاً)، هنا نرى **الرحمة**.. مما يؤكد **عدم تخلى الله عن عدالته، مع كونه غنياً فى الرحمة**.

الحادى عشر

محبة الله

إن كان الله غنياً فى الرحمة، فهو أيضاً **كثير المحبة**.. فـ"اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الـــرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ **مَحَبَّتِهِ** الْـــكَثِيـــرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايـــا (أى عاجزون إلـــى درجة الموت)" (أف٢ :٤، ٥).. "**لأَنَّهُ هكَذَا** (أى بهذا القدر) **أَحَبَّ** اللهُ الْعَالَمَ" (يو٣ :١٦).. و"اُنْظُرُوا **أَيَّةَ مَحَبَّةٍ** أَعْطَانَا الآبُ" (١يو٣ :١).

ثانى عشر

الحل الإلهى

إذ برز الله فى المشهد برحمته ومحبته، بعد أن استحكمت الحلقات، وانغلقت - إلى الدهر - أبواب الوصول إلى فدية فى حوزة الإنسان، أظهر لنا **الحل الإلهى، بتدبير الفدية المقبولة منه.**

ثالث عشر

الله يدبر الفدية

إذ لم تكن دماء ذبائح العهد القديم كافية لتسديد مطاليب العدالة الإلهية، فقد دبر الله **فدية دمها مقبول وكاف لديه..** فما هى هذه الفدية؟.. وما هو هذا الدم؟

الفدية هى حمل بلا عيب ولا دنس.. ودمها هو دم كريم.. أين توجد هذه الفدية؟.. إن إبراهيم لم يحضرها لتفتدى ابنه اسحق.. بل "**رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ**" (تك٢٢:١٣).

فالفدية مُعدّة من جانب الله.. فما تراها؟

رابع عشر

كشف العهد الجديد عن الفدية

فدية مُعَدَّة من الله .. **وكبش ممسك فى الغابة، مُعَدٌ ومهيأ للذبح..** إلام يشير هذا ويرمز؟

يشير أولاً: إلى أن الله هو من رتب الفدية.

ويرمز **ثانياً**: إلى ما كتبه الرســول بطرس بالنص "**عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ.... بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ**" (١بط ١:١٨-٢٠).

إن كان فيلــبس قد كشف للخصى الحبشى عمن هو المجروح من أجل معاصينا المسحوق من أجل آثامنا.. و"فَتَحَ فِيلُبُّسُ فَاهُ.... فَبَشَّرَهُ **بِيَسُوعَ**" (أع ٨:٣٥) الــذى "**تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ**، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ" (١بط ٣:١٨)، فإن العهد الجديد فى أكثر من شاهد كشف لنا عن هذه الفدية.

فبدءاً من تســبحة زكريا الكاهن وفيها يذكر أحد أسباب مجئ المسيح إلى العالم وولادته كإنسان، فيقول أن الله "**افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ**" (لو ١:٦٨).. يستمر الكتاب فى كشف ماهية هذه الفدية.. فيكتب الرســول بولس عن "**يســوع المسيح**"، "**الَّذِي بَذَلَ نَفْســهُ فِدْيَــةً لأَجْلِ الْجَمِيــعِ**" (١تى٢:٦).. "**الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُــفْرَانُ الْخَطَايَا**" (أف ١:٧) .. إذ "**بِدَمِ نَفْسِهِ**، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، **فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا**" (عب٩:١٢).

هذا وقد شهد الرب عن نفســه فقال: "أَنَّ ابْنَ الإِنْســانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، **وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ**" (مت٢٠:٢٨).

وإن كنا قد رأيــنا فى البند (ســابعاً) انعدام وجود المصالح، فإننا بوجود الفدية يتكشَّف لنا **وجود المصالح؛ ألا وهو الله** الذى فى مطلق رحمته ومحبته سعى للمصالحة مع الإنســان إذ دبر الفدية.. وبهذا الصدد نقرأ: "إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ **مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ**، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (٢كو ٥:١٩).

وهذه المصالحة تمت عن طريــق وســيــط تكفل برأب الصدع بين الله والناس.. من هو؟.. نقرأ: "لأَنَّهُ يــُوجَدُ **إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِــيطٌ وَاحِدٌ** بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: **الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ**، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً...." (١تى٢:٥،٦).

وإذ هو وسـيط العهد الجديـد، فإن دمه يتكلم **أفضل** من دم هابيل الذى يطالب بالانتقام، لا بالغفران (عب١٢:٢٤)، ومن دماء جميع الذبائح مجتمعة.. ومع كوننا أعداء (فكراً وعملاً) (كو١:٢١)، إلا أننا "قَدْ **صُولِحْنَا** مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ" (رو٥:٩).. وما عجز عنه الإنسـان من تدبير مطاليب المصالحة، تكفَّل الله به وتمم ما عجز عنه الإنسـان، من تدبير وسـيط ومصالح بينه وبين الناس، يتولى تسديد المطاليب، بتقديم "نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (١تى٢:٦).

وبرجوعنا للبند (ثامناً) عن **الدم المطلوب** للمصالحة نجد أن الله سر "أَنْ يُصَالِحَ بِهِ (بالمسيح) الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ **بِدَمِ صَلِيبِهِ**" (كو١:٢٠).

وبرجوعنا للبند (تاسـعاً) عن **انعدام امتلاك البشر ما يوفى الله مطاليبه**، نقرأ ما خاطب به الرسـول بولس أهل أنطاكية: "بِهذَا (بالمسيح) يُنَادَى لَكُمْ بِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، وَبِهذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ **مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى**" (أع١٣:٣٨،٣٩).. معلناً أن **التبرير**، الذى لم يتم الحصول عليه بذبائح العهد القديم، قد تم "**بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ**" (رو٣:٢٤،٢٥).

لماذا قدمه الله كفارة؟.. "لإِظْهَارِ بِرِّهِ" (الشاهد السابق).. أى "**لِيَكُونَ بَارًّا**" (رو٣:٢٦).. ما المعنى؟.. أى **ليكون باراً** فى ذاته، قبل أن يبرر أحداً، وذلك عندما يـطبق **عدالته** على الفادى بسفك دمه كفارة.. حتى يتسنى له بعد ذلك تطبيق **رحمته** على كل من يؤمن بهذا الفداء وبهذا الدم المسفوك، الكافى والكفيل وحده بغفران الخطايا.

وهنا نرى أن **بر الله فى ذاته** – أى عدالته ونزاهته – قد ظهر **مرتين**:

الأولـى: "لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا **السَّالِفَةِ** بِإِمْهَالِ اللهِ" (رو٣:٢٥).. والصفح غير الغفران، بل هو تأجيل حسـاب السـالفين على خطاياهم.. **وطىّ صفحة** – مؤقتاً عليها – **لحين تسديد الحسـاب كله على**

الـــصليـــب.. ووقتها بعد الصليـــب تكون قد غُفرت.. **هذا من جهة خطايـــا السالفين** (مؤمنى العهد القديم).

الثانيـــة: "لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَـــكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِـيَسُوعَ" (رو٣:٢٦).. **هذا من جهة غفران خطايا المعاصرين** (مؤمنى العهد الجديد).

كل هذا على أساس الكفارة، والفدية التى قدمت عن السالفين والمعاصرين.

خامس عشر

انطباق الشروط المنطقية على الفدية

رأينا فيما سبق أن الشروط المنطقية لمن يقدّم فدية هى:

١- أن تكون الفدية **إنساناً**.. حتى ينوب عن الإنسان.

٢- أن يكون **مولوداً**.. حتى ينوب عن المولودين.

٣- أن يكون **قدوساً**.. حتى لا تكون نيابته عن نفسه، بل ينوب كفدية عن غيره.

٤- أن يكون غير **محدود**.. حتى ينوب عما لا يُعَدُّ من البشر.

وقد انطبقت هذه الشروط المنطقية انطباقاً حرفياً وكتابياً وواقعياً على الرب يسوع المسيح.

١- **هو الإنسان**: "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَــهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي **شِبْهِ النَّاسِ**. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ **كَإِنْســانٍ**، وَضَعَ نَفْســهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فى٢:٦-٨).. "وَالْكَلِمَةُ (الأزلى) صَارَ جَســدًا (إنسانيا)" (يو١:١٤) فى "مِلْءُ الزَّمَانِ" (غل٤:٤).

هو المولود والقدوس وغير المحدود

٢ ، ٣ ، ٤ : بشر الملاك جبرائيل مطوبة الأجيال العذراء مريم: "هَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ **عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى** (غير محدود)" (لو ١:٣١،٣٢).. "فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟» فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا **الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ** مِنْكِ **يُدْعَى ابْنَ اللهِ**" (لو ١:٣٤،٣٥).

فهو المولود.. وهو القدوس.. وهو غير المحدود، لأنه ابن العلى الظاهر فى الجسد.. إذ "عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: **اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ**" (اتى ٣:١٦).

أما كيف يكون مولوداً وفى الوقت نفسه قدوساً.. بينما كل المولودين، مولودون وبذرة الخطية قد ورثوها.. لأنى "هأَنَذَا **بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي**" (مز ٥١:٥)[٣].

الإجابة هى فى قول الملاك لها: "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ".. وبذلك استُبْعِد الرجل من عملية الحَبَل.. "وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ".. وذلك **لحمايتك** أولاً.. **وحماية الجنين** فى أحشائك ثانياً.

أولاً – لحمايتك: من أى شئ؟.. ليس بالطبع حمايتها من أخطار خارجية.. فهذه مهمة الملائكة.. "**لأَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ. عَلَى الأَيْدِي يَحْمِلُونَكَ لِئَلاَّ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ**" (مز ٩١:١١،١٢).. لاسيما وقد كان **الملاك** جبرائيل تواً فى معيتها.. إذاً من أى شئ؟.. من **خطر داخلى**.. ماهو؟.. هو **حلول كل ملء اللاهوت فى الجنين الذى فى بطنها**.. فإن كان موسى لم يقدر أن يرى مجد هذا اللاهوت – مجرد رؤية – بالعين، فكيف يكون الحال عندما.. يحل كل هذا المجد الذى لا يُحَدُّ، فى بطن المطوبة.. الأمر الذى يستوجب حمايتها بقوة إلهية علوية.

فهو "اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ" (يو ١٨:١).. فكيف له أن يحتويه حضن إمرأة فى بطنها.. ولو كانت **المطوبة الوحيدة** بين نساء العالم قاطبة؟

أم تراه فارق حضن الآب عندما حل فى بطنها؟.. كلا بالطبع.. كما يـــجيبنا قداسة الأب "**متى المسكين**": بأنه كان - ويظل - فى حضن الآب أزلاً أبداً.. لم يفارق هذا الحضن، حتى وهو فى بطن المطوبة العذراء مريم.

ثانيـــاً - لحمايـــة المولود: من أى شيء؟.. **منك يا مريم**.. فكما كنت تحتاجين إلى حمايـــتك منه.. فهو أيضاً يحتاج إلى حمايته منك.. كيف؟.. **بقوة العلى** التى تسيطر على جيناتك وخلاياك وتحيط بها وتغربلها، حتى لا يتسرب شيء من جرثومة الخطية منك إليه.. مع التقدير الواجب لمطوبة الأجيال، عندما نقول أن جرثومة الخطية فيها.. فهى فى النهاية إنسان.. ولو كانت بلا خطية - هى أو غيــرها من البشر - لما كان هناك احتيـــاج لتقديم فدية.. مادمت مطوبة الأجيـــال خاليـــة من الخطيـــة، وتصلح لأن تكون فديـــة، ولو عن واحد من البشر.. ولا كانت فى حاجة أن تقول: "**اللهِ مُخَلِّصِي**" (لو ٤٧:١).

سادس عشر

لصالح من مصالحتنا من الله

إن كنا طرفاً فى هذه المصالحة، التى كلَّفت الله أن يبذل ابنه فدية عنا بدمه الكريـــم، إلا أن **الطرف الأهم هو الله**.. وحيث أن الله له الأولوية فى كل شئ لذلك فأن هذه المصالحة **قبل أن تكون لصالحنا، فهى لصالح الله نفسه**.. لسببين:

الأول: لنفسه.. وللمسيح، الذى بذل نفسه فدية عن كثيرين.

فـعن **نفسه** نقرأ: إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم **لنفسه** (٢كو ١٩:٥).. ليأت "بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ" (عب ١٠:٢).

وعن **المســيح** نقرأ: "أَحَبَّ الْمَسِــيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَــهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْــلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِــهِ كَنِيسَــةً مَجِيدَةً.... " (أف٥:٢٥-٢٧)

الثانى: ليــتمكن الله من التوفيــق بين رحمته وعدالته.. ببذل ابنه محتملاً قصاص **الخطية العادل..** من ثم **يرحم** كل من يؤمن بذلك[٥].

سابع عشر

ارتباط الرحمة والحق

ترتبط **الرحمة والحق** فى طول الكتاب وعرضه ارتباطاً وثيقاً.. لأن إسقاط أىٍّ منهما يتنافى مع كمال الله الرحيم العادل.. ويتعارض مع مستلزمات الألوهية.

فكما قرأنا عن هذا الارتباط فى الــعهد القديــم.. نجده بوضوح فى العهد الجديد.. فنقرأ: "لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَــى أُعْطِيَ، أَمَّا **النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ** فَبِيَسُــوعَ الْمَسِيحِ صَارَا" (يــو١:١٧).. و"الَّذِيــنَ يَــنَالُونَ فَيْضَ **النِّعْمَةِ** وَعَطِيَّةَ **الْبِرِّ**" (رو٥:١٧).. فالعطية **بالنعمة** ولكن على أســاس **بر الله وعدالته**، التى اقتصَّت من البديل يسوع المسيح.. فالله "يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ **(بالنعمة)**، وَإِلَى مَعْرِفَةِ **الْحَقِّ** يُقْبِلُونَ" (١تــى٢:٤).. و"شَاءَ **(بالنعمة)** فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ **الْحَقِّ**"(يع١:١٨).. "الَّذِي فِيهِ (المسيح) أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَــمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْــحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمْ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْــمَوْعِدِ الْــقُدُّوسِ **(بالنعمة)**" (أف١:١٣).. والله اختارنا "مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ **(بالنعمة)**، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ **الْحَقِّ**" (٢تس٢:١٣).

مما يبين بجلاء ارتباط النعمة والرحمة، من جانب، مع الحق والبر والعدالة، من الجانب الآخر.. حيــث لا يمكن لله أن يتخلَّى عن أى جانب منها على حســاب الآخر.. ويكتب "وليم شكســبير" :[يمـكننا عمل الـكثير بالحق، ولـكن بالحب أكثر]

هل هى إشكالية أزلية؟

رأينا فيما سبق أن اتصاف الله بصفتى العدالة والرحمة معاً، يدخلنا فى إشكالية تعارض هاتين الصفتين مع بعضهما.. لأنه إن عامل الله الإنسان بالعدالة، فقط أسقط عن ذاته صفة الرحمة.. وإن عامله بالرحمة فقط أسقط عن ذاته صفة العدالة.

ويبدو الأمر كما لو أن هذه الإشكالية **قد قامت بعد سقوط الإنسان**، ممثَّلاً فى آدم؛ أبى الجنس البشرى.

وبهذا التصور يبدو وكأن الله قد وقع فى ورطة بعد سقوط الإنسان، واحتار هل يعامله بالعدالة، أم بالرحمة؟

وحلاً لحيرته تفتق ذهنه تعالى عن أن يفتش عن حل يعالج به هذه الإشكالية، ويخرجه من ورطته هذه، فلم يجد غير بذل ابنه، الذى تنطبق عليه شروط الفدية المقبولة، لينوب عن الإنسان فى تحمل العقوبة العادلة، ليتسنَّى لله بعد ذلك أن يعامل الإنسان بالرحمة.

ومن وقت سقوط الإنسان، ولحين مجئ الوقت المعين منه لبذل ابنه، لجأ الله إلى نظام الذبائح - كحل مؤقت، فى العهد القديم - وهو نظام رمزى يشير إلى ذبيحة المسيح التى سوف تقدم نيابة عن الإنسان.

أهكذا تمضى الأمور على هذا النحو؟.. يسقط الإنسان.. فيفاجأ الله.. ويتورط.. ويحتار.. ويبحث عن حل غائب عنه.. إلى أن يجده، فيهتف مع من قال: "وجدتها".. ويفرح لوجود حل لهذه الإشكالية، التى فاجأته وطعنته فى صميم كماله فى ذاته، وكماله فى صفاته.

حاشا بالطبع.. ما الأمر إذاً؟

لم تظهر هذه الإشكالية فجأة أمام الله لحظة سقوط الإنسان.. لأنه "**مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيــــعُ أَعْمَالِهِ**" (أع١٥:١٨).. ولا شئ يفاجئه بالحدوث على غير توقُّع منه.

وليســـت معلومة فقط جميع أعماله، بل أيضا مُفَعَّلة، منذ الأزل، بما فيها بذل الإبن.. ذلك حتى لا يكون حل هذه الإشكالية بعد قيامها.. **بل قبل قيـــامها.. فلا تقوم من الأســـاس..** لأنه ليس – ولا يصح أن يكون – لدى الله إشكالية ما، أزلاً، أبداً، مهما كان من أمر **الإنسان** وأخطاؤه، أو **الشيطان** وأعماله.

لذلك فإن الحل الإلهى، بتقديـم الابن فديـة عن الإنســـان، لم يـــكن حلاً مســـتحدثاً مرتبطاً بزمن ســـقوط الإنســـان، بل كان حلاً أزليـــاً.. لا لكى يحل هذه الإشكالية فى الزمان، بل ليمنع قيامها من الأساس أزلاً، فلا تقوم لها قائمة.

كيف؟.. إن كان الحل هو موت المسيح، فهل مات المسيح أزلاً؟

لليس بالضرورة أن يكون موتاً حرفياً.. بل نقرأ: عن "**دَمُ الْمَسِـيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَـهُ ِللهِ بِلاَ عَيْبٍ**" (عب٩:١٤).. أى أنه وضع نفسه **تحت طائلة ســـيف العدالة الإلهية أزلاً..** قبل سقوط الإنسان.. بل وقبل خلقه.. ليكون **فى حكم من مات شرعاً**، قبل أن يموت فعلاً على الصليب.

وفى أرياف مصر، يطالب أهل القتيل بدم القاتل، فيلجأون –حقناً للدماء– إلـــى عمل جلســـة صلح، يـــحضرها الطرفان، وتضم كبار رجال الدولة وعواقل العائلات.. ويأتى القاتل **حاملاً كفنه، ســـاجداً راكعاً، عند قدمى ولى الدم** (وهو أحد أقرباء الـــقتيـــل).. وكما لو كان يـــقول له: "أنا مخطئ، فإن قتلتنى كان هذا **حقك العادل**، والعدل من همم الرجال.. وإن ســـامحتنى كان هذا **عفوك الراحم**، و"العفو

من شيـــم الكرام".. وهذا كفنى.. لأعود به إلى القبر، إن شئت.. أو إلى الحياة مرة أخرى إن عفوت، بعدما وضعت نفسى كميت أمامك الآن".

فيعفو ولى الدم عنه، مغلِّباً **الرحمة**.. إذ أن القاتل وضع نفســـه تحت حكم الموت شرعاً.. فكأنه مات فعلاً، مطبّقاً **العدالة**.. فلا الرحمة أُســـقطت.. ولا العدالة انتُهكت.

وهذا التصرف من سكان الأرياف، نرى له رمزاً واضحاً فى الكتاب.

فـفى سفر التكوين (ص٢٢) نرى رمزاً لتقديم المسيح نفسه قرباناً ومحرقة وذبيحة لله.

الأول: رمز نرى فيه المسيح **يموت شرعاً.**

الثانى: رمز نرى فيه المسيح **يموت فعلاً.**

ما هما؟.. إنهما **إسحق.. والكبش.**

فبخلاف نواح رمزيـــة أخرى فى هذين الرمزين، إلا أننا نرى فيهما هذين الجانبين: **الموت الشرعى، والموت الفعلى.**

أولاً: إســـحق حاملاً الحطب، وسائراً إلى المذبح، ومقيَّداً، وموضوعاً على المذبح، والســـكين مرفوعة عليه، نرى فيه **اسحق فى حكم الموت شرعاً، دون أن يموت فعلاً.**

وهو هنا يرمز للرب يسوع المسيح، الذى قدم نفسه لله بروح أزلى ليكون تحت طائلة ســـيف العدالة أزلاً.. إلا أن السيف حتى هذه اللحظة هو **نائم** أو متوقف مفعوله.. لأن الموت هنا **موت شرعى.**

الثانى: نرى فيه رمزاً مكمّلاً للرمز الأول، وتحقيقاً عملياً له.. وذلك فى الكبش الممسك فى الغابة بقرنيه.. وهو كبش صحيح.. مربوط.. مهيأ للذبح.. ليموت فعلاً.

وهو هنا رمز للرب يسوع المسيح فى جسده المهيأ له من الله (عب١٠:٥) موضوعاً أقل من الملائكة (عب٢:٧،٩) "لِكَيْ **يَذُوقَ** (فعلاً) **بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ** لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ" (عب٢:٩).

وكون الكبش مربوطاً إنما إشارة للربط الأدبية، التى ألزمت المسيح، أو ألزم بها نفسه لكى يموت.. كقوله على سبيل المثال: لأنه "كَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا **يَنْبَغِي** أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ...." (يو٣:١٤).. وكقوله لتلميذى عمواس: "أَمَا كَانَ **يَنْبَغِي** أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ" (لو٢٤:٢٦).

لماذا ينبغى؟

أولاً: كان **ينبغى أن يموت**، "**لِيَتِمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ**" (لو٢١:٢٢).. ونلاحظ أنه قبل أن يقول ينبغى أن **يرفع** ابن الإنسان يسبق ذلك بالإشارة إلى الرمز: "كَمَا **رَفَعَ** مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ".. أى **ينبغى** أن يتم رمز الحية المرفوعة.

وأمثلة هذه الرموز والنبوات عن موت المسيح كثيرة.. لكن دعنا نرى نبوة واحدة فقط، تؤكد أنه **ينبغى** أن يموت المسيح **طبقاً للنبوات**، وهى مرتبطة بلحظات الصلب الأخيرة وهى: "وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَمًا، **وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاً**" (مز٦٩:٢١).. ونقرأ قول الرب تتميماً لهذه النبوة: "بَعْدَ هذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، **فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ** قَالَ:«**أَنَا عَطْشَانُ**».... فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ **الْخَلِّ**، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ. **فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ....**" (يو١٩:٢٨-٣٠).

وما كانت هذه النبوة - أو غيرها - لتتم، لو لم يكن **ينبغى** أن يرفع ابن الإنسان على الصليب.

ثانيـــاً: كان يـــنبغى أن يـــتألم، **حتى يـــحتمل توقيع القصاص** عليه، لتأخذ عدالة الله مجراها معه.. فتتبقى الـــرحمة بعد ذلك، لتأخذ مجراها مع من يـــقبل نيـــابة المسيح عنه.

ثالثاً: كان **ينبغى أن يتألم** مائتاً على الصليب تحقيقاً لموته الشرعى فى الأزل.. فما كان يمكن أن يكون الموت الأزلى شرعياً، لو لم يكن له تتميم حرفى الزمان.

رابعاً: كان يـــنبغى **أن يموت فعلاً تحقيقاً لمشيئة الله** كقوله لله: "بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُـسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. حِينَئِذٍ قُلْتُ: «هأَنَذَا جِئْتُ. **بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي: أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ....**" (مز٤٠:٦-٨).

وهنا نرى الســـكين **المتوقف** عن ذبح اسحق.. قد **تم تفعيله** فى الكبش.. أو بالحرى ســـيف العدالة الإلهية، عندما كان المســـيح يقدم نفسه **أزلاً** لله، مائتاً شرعياً، تحت طائلته، كان **ســـيفاً نائماً**.. ثم تم **تفعيله فى الزمان**، إذ **استيقظ** ليضربه، ليتم المكتوب: "**اِســـتَيْقِظْ يَا سَيْفُ عَلَى رَاعِيَّ، وَعَلَى رَجُلِ رِفْقَتِي** (المسيح)، **يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. اِضْرِبِ الرَّاعِيَ....**" (زك١٣:٧).

خامساً: من زاوية أخرى، إن كان ينبغى أن يموت المسيح للأسباب السابق ذكرها **كضرورة**، فإن لموته جانب إضافى آخر **دون أن يكون ضرورة** لعلاج مشكلة الخطيـــة، أو أى مشكلة أخرى، ألا وهو **موته طواعية دون إلزام**، ودون أن تنطبق على هذا الموت كلمة **ينبغى**.. كيف؟

كان يـــنبغى أن يـــموت كذبيحة خطية وذبيحة إثم لتطبيق حكم العدالة الإلهية عـــليه.. لكن كانت هناك تقدمة أخرى فى العهد القديم؛ **وهى المحرقة.. وهذه لـــم تكن لها علاقة بالخطية أو بالتكفير عنها أو بتوقيع عقوبة الخطية عليها بذبحها وحرقها**.. بل كانت هذه المحرقة **توقد بتمامها لله**، "إِنَّهُ مُحْرَقَةٌ، وَقُودُ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ" (لاويين١:١٣).

كذلك المسيح أيضاً "أَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، **قُرْبَانًا** وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً".. فكان الذبيحة عن الخطية.. **والقربان للرائحة الطيبة** (أف٥:٢).. فإن كانت الذبيحة لازمة لعلاج الخطية، فإن **المحرقة هى للرائحة الطيبة**.. وهو أمر يزيد عن تطبيق العدالة، أوديـنونتها.. إنها بالدرجة الأولى قبل هذا وذاك.. إذ **هى لإدخال المسرة إلى قلب الله**.. لتتم ترنيمة الملائكة: "**بِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ**" (لو٢:١٤).. أى أناس أولاء؟.. هم **المسيح** رأس هؤلاء الناس، وخلفه الأبناء الكثيرين الذين يقودهم إلى المجد (عب٢:١٠).

لذلك يقول الرب: "لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضًا. **لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا** (بإرادتى وليس رغماً عنى، ولا كأمر **ينبغى** أن يحدث) وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا" (يو١٠:١٧،١٨).. فمع أنه الابن الحبيب أزلاً أبداً، إلا أنه إذ قدم نفسه من هذا الجانب **طواعية، دون إلزام**، فكما لو كان يضيف سبباً جديداً لمحبة الآب له، كرد فعل لتقديم نفسه له كمحرقة.

لقد أدرك فى الأزل ما يسر قلب الله، فبكل سرور يقول لله: "بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. **مُحْرَقَةً** وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. حِينَئِذٍ قُلْتُ: هأَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّى: **أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ**...." (مز٤٠:٦-٨).. لقد جاء وتجسد لا ليكون ذبيحة خطية فقط، بل كمحرقة أيضاً، ليفعل مشيئة الله ويدخل السرور إلى قلبه أولاً.. ثم ليموت كذبيحة خطية ليمنع – فى الأزل – قيام الإشكالية المذكورة، من الأساس.

سؤال خبيث

وطبعا السؤال – وليس السائل – هو الخبيث.. ذلك لأنه سؤالٌ يبدو لأول وهلة أن لا إجابة له.. وبالتالى يشكِّك فى شخصية المسيح، لاهوتاً، وناسوتاً.

السؤال

هل كان المسيح معصوماً من الخطية، أم لا؟

إن كانت الإجابة، كلا – أى **غيـــر معصوم** – بدا ذلك – **ظاهرياً** – وكأنه **طعن فى كماله.**

وإن كانت الإجابة، نعم – أى **معصوم** – تحول المسيح بذلك إلى روبوت، **دسّ الله فيه شريحة القداسة**.. وبذلك يكون لا فضل له فى كماله.. وكان هذا **طعناً فى كفارته.**

الرد

خبث هذا الســـــؤال يكمن فى ثلاثة ألفاظ استخدمها السائل بمدلولات تبدو مقنعة ظاهرياً، لكنها ليست المدلولات الكتابية الصحيحة لهذه الألفاظ.

اللفظ الأول: المسيح.
اللفظ الثانى: الخطية.
اللفظ الثالث: العصمة.

بمعرفتنا للمدلول الكتابى الصحيـــح والوحيـــد لكل لفظ، يـــزول الالتباس، ويعاد قراءة السؤال بطريقة صحيحة.

أولاً: المسيح

يريد السائل أن يوهم المستمع إليه أن المسيح هو يسوع (فقط)، على غير الحقيقة.

والحقيقة التى يعرفها معظمنا نحن المسـيحيون، أن يسـوع هو المسيح.. وهذا صحيح.. لكن هل المسيح هو يسوع فقط؟.. الإجابة كلا.. لأنه إن كان صحيحاً أن يسـوع هو المسيح، فليس صحيحاً أن المسيح هو يسوع "وبس".. كيف؟.. "سَأَلَ (الرب) تَلاَمِيـذَهُ قائلاً:«مَنْ يَـقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الإِنْسَـانِ؟»..... «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ سِـمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ:«**أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!**». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: **طُوبَى لَكَ** يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا" (مت١٦ :١٣-١٧).

لماذا طوَّب الرب بطرس؟.. لأنه أجاب الإجابة الصحيحة.. وكأن بطرس كان يقول: لأنه وإن كنت أمام عيوننا **كيسـوع ابن الإنسان**، إلا أن هذا - وإن كان صحيحاً - لكنه ليس كل الحق.. فالحقيقة أنك **المسـيح ابن الله الحى**، ولست **فقط** يسوع ابن الإنسان.

فإن كان يسوع هو ابن الإنسان.. إلا أن **المسيح هو ابن الإنسان يسوع، حالاً فيه "كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ"** (كو٢:٩).

فيسوع هو المسيح.. لكن المسيح ليس هو يسوع (فقط)(٦).

وحيـث أن الأمر كذلك.. وحيث أن المسـيح هو ابن الله الحى - وليس يـسوع ابن الإنسان فقط، لذلك فهو (أى المسيح) بمنأى عن أى سؤال خبيث من هذا القبيل، وأبعد ما يكون عن مثل هذا الهراء.. لأن حلول اللاهوت بملئه فى ناسـوت يسوع ابن الإنسان، يجعلنا نخلع نعالنا من أرجلنا.. لأن الموضع مقدس (خر٣:٥).. ذلك لأن الله منزّه عن الشرور، كطبيعة أصيلة فيه.. كما أنه "غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ" (يع١:١٣)، كشئ دخيل عليه.

فإن كان السائل يقصد بسؤاله يسوع لا المسيح، فسؤاله يقبل المناقشة.. أما إن كان يـــقصد المســيح بالمفهوم الكتابى الســابق شرحه عن المســيح (كابن الله المتجسد)، فهو سؤال خبيث.

ثانياً: الخطية

يريد السائل أن يوهم المستمع إليه بأن **الخطية** المقصودة من سؤاله – كما هو متداول عند الناس – هى الخطايا **الفعلية**، **كالشر والفســاد والنجاســة والزنى والكذب والسرقة والطمع وعبادة الأوثان**.... إلخ.

ويريد أن يقول أنها إن **كانت فى يســوع، أصبح غير كامل.. وإن لم تكن فيه كان غير حر**، بل مغلوباً على أمره، يفعل البر دون اختيار منه، بل رغماً عنه، **مقيَّـداً بالــعصمة، ولا فضل له فى ذلك**.. وهنا تكون ذبيــحته **قد فقدت قيــمتها وكمالها، وماعادت تصلح أن تكفِّر عن الخطايا.**

ما الأمر إذاً؟.. هو تعريف الخطية الكتابى.. وأُوجز هنا ما ســبق كتابته فى العدد العاشر من هذه الســلسلة، بعنوان "ميمى بك".. وذلك عندما ذهبت الحية إلى حواء، وقالت لها: "يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ (من ثمر شجرة معرفة الخير والشر) **تَنْفَتِحُ أَعْيُـنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْـنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ**" (تك٣:٥).. من ثم لا تحتاجان إلى عين الله لإرشادكما.. بل **تعرفان طريقكما** وحدكما بالاســتقلال عنه، هذا أولاً.. أما ثانيــاً، فتكونان **مثله عارفيــن الخيــر والشر**.. وبالطبع تعملان الخير، مادمتما قد عرفتماه.. من ثم لا تكون القضيــة عمل الخيــر والامتناع عن عمل الشر، بل من الذى **يــحدد أن هذا خيــرٌ وهذا شرٌّ**.. لأنكما ما دمتما عارفيــن الخير والشر، فقد **صــرتما كالله** تحددان لنفسيكما الشريعة التى تسيران عليها، وتضعان الناموس الذى تلتزمان به.. **ولتمضيــا فى طريــقكما.. وليمض الله فى طريقه**.. وكلٌّ فى طريقه يسير.

هذه هى الخطيـــة فى تعريـــفها الكتابى، وهى **الاســـتقلال عن الله وعمل الإرادة الــذاتية**، حتى لو كانت خيراً.. **فالخير النابع من الاستقلال عن الله يتساوى مع أى شر**.. هذا إن افترضنا - جدلاً - أنه خيـــر.. وحتى لو كان خيراً، فهو **خير نسبى.. إذ ابتعد عن الله مصدر الخير المطلق.**

وللأديب "**صبرى موســـى**" قصة تبين **نســـبية الخير** لدى البشر.. بعنوان "**فاعل خير**".

[رأت الأرملة العجوز أن بطن ابنتها الشابة الوحيدة ابتدأت تكبر.. أدركت هول الفجيعة.. صرَّت ملابسها وأخذت ابنتها فى الفجر.. وتركت القرية، هاربة من العار، هائمة بلا هدف.. آخر النهار، هدَّها التعب...جلست على حافة الجسر.. مرَّ بها رجل ضخم الجثة، تبدو الشراسة على سحنته.. سألها عما بها.. أجابته.. صحبها إلى حيث يبيت.. افترش لها ركناً لتنام فيه.. وذهب لركن آخر.. لم يوافه النوم.. عاتب نفسه أنه فى حياته كلها لم يفعل خيراً واحداً.. فليفعل خيراً لهذه المرأة الفقيرة.. كل الذين قتلهم كان مُؤَجَّراً لقتلهم، مقابل المال.. وهذه لا تملك مالاً تدفعه له ليقتل ابنتها (الفاجرة)، فليقتل لها ابنتها مجاناً، مرضاة لوجه الله.. قام فخنق الفتاة.. وحملها إلى المصرف المجاور... وعاد لينام قرير العين.. وفى الصباح علمت الأم.. فراحت تشكره وتتمتم له بالدعاء، وهو يجهز لها الإفطار ويعطيها حماره.. ويعود بها إلى قريتها.. انصرفت وقد تخلصت من عارها].

عـودة إلى تعريف الخطية الأصلية وكونها **الرغبة فى الاستقلال عن الله**، لنجد أنها بذرة تســلســـلت من آدم، واندست فى نسله، كقول الكتاب: "**هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ** (بتعريفها السابق) **حَبِلَتْ بِي أُمِّي**" (مز ٥١:٥).. أى أنها لم تحبل بى وارثاً الشر والنجاســـة والزنى والطمع، بل حبلت بى **وارثاً الأصل**؛ أى الخطية

الأصليـــة وهى الرغبة فى الاســتقلال عن الله وعمل الإرادة الذاتية.. وهذه البذرة الأصلية لابد - **أردنا أم لم نرد** - أن تثمر الشرور والمفاسد و.... إلخ.

وفى هذا يكتب قداسة المتنيح "البابا شنودة الثالث":

أنا عبد الإثم أرضى شهوتى **إن أردت الإثم أو إن لم أرد**

أى حــتى لو أراد الإنسان فعل خير، فهو إما أن يفعل الشر، أو فى أحسن الأحوال يفعل خيراً نسبياً.. أى خير فى نظره هو، لا فى نظر الله.

نأتى الآن إلى **يســوع ابن الإنســـان**، لنجد أنه - دون كافة المواليد - لم يــرث هذه الخطية الأصلية.. لســبب حمايته وهو فى بطن مطوبة الأجيال العذراء مريــم، من تســلُّلها منها إليه.. كيف؟.. نجد هذا - كما ســبق ذكره - فى بشارة الملاك جبرائيل لها: "**اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ** (وبذلك اســتُبعد الرجل، حامل بذرة الخطيــة)، **وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ** (لحمايـــة الجنين فى بطنها من وراثة الخطية منها)، **فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ**" (لو١:٣٥).

وُلد يســوع **قدوســـاً خالياً من الخطية الأصلية أى؛ خطية الاستقلال عن الله، أى عمل الإرادة الذاتيـــة**.. وليـــس المقصود أنه ولد خالياً من الخطايا الفعلية، كالشر والنجاســـة والكذب والطمع والسرقة.. وما إلى ذلك.. فهذه الأخيرة (الفعلية) مـصدرها الأولى (الأصلية) - ولما كان يسوع مولوداً خالياً من الأولى، فبالتبعية لم يفعل الثانية **فعلاً**، ولا فكر فيها **فكراً**، إذ لم يكن الأولى فيه **أصلاً**.

ولهذا نقرأ: أنه "لَمْ **يَفْعَلْ** خَطِيَّةً **(فعلاً)**" (١بط ٢:٢٢).. و"لَمْ **يَعْرِفْ** خَطِيَّةً **(فكراً)**" (٢كو ٥:٢١).. و"وَلَيْسَ **فِيهِ** خَطِيَّةٌ **(أصلاً)**" (١يو ٣:٥).

والســؤال الآن، هل كان يســـوع يستطيع أن يفعل إرادته الذاتية ويستقلُّ - كإنسان - عن الله؟.. **الإجابة: نعم بكل تأكيد**.. ألم تكن له إرادة حرة؟.. **نعم بكل**

تأكيـــد.. ألم يكن بإرادته الحرة يستطيع أن يفعل ما يريد، طاعة لله أو عصياناً؟ نعم.. إلا أنه **لم يـــفعل – حتى الخير – مســتقلاً عن الله**.. وكان طعامه أن يفعل مشيئة الذى أرسله.

لقد عرض عليـه التلاميـذ يوما أن يأكل، "فَقَالَ لَهُمْ:«أَنَا لِي **طَعَامٌ** (آخر) **لآكُلَ** لَـسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ». فَقَالَ التَّلاَمِيـذُ بَعْضُهُمْ لِبَعْض:«أَلَعَلَّ أَحَدًا أَتَاهُ بِشَيْءٍ لِيَــأْكُلَ؟» قَالَ لَهُمْ يَسُـوعُ:«**طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَـلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ**" (يو٤: ٣٢-٣٤).

وعندما جرَّبه إبليـس – وكان جائعاً، بعد أربعيـن يوم قضاها صائماً – وعرض عليـه أن يـحول الحجارة إلى خبز، كان رده أنه "لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَـانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ" (مت٤:١-٤).. وكما لو كان يـريد أن يقول للشيطان: إحتياجى الإنســانى الملح إلى الخبز لا يدفعنى لعمل إرادتى الذاتية، مع أنى أقدر.. **لكننى هنا جنَّدت نفســى فى طريـــق الطاعة لأعمل لا مشيئتى بل مشيئه الذى أرســلنى**.. وإذ ليست لدىَّ تعليمات من الذى أرسلنى، لأحول الحجارة إلـى خبز فلـن أفعل.. **ويـكفيـنى طعاماً أن أنفذ "كُلِّ كَلِـمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ"** (مت٤:٤).. وأقتات عليها، لا بالخبز وحده.

يــقول ابليس له: **قُلْ** "أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا" (مت٤:٣).. وكما لو كان المسيح يرد عليه: **أنا لم آت لأقول، بل لأسمع**.. لأن السيد الرب "فَتَحَ لِي **أُذُنًا**" (إش٥٠:٥).. و"يُوقِظُ كُلَّ صَبَاحٍ لِي **أُذُنًا، لأَسْمَعَ** كَالْمُتَعَلِّمِينَ" (إش٥٠:٤).. "مَنْ لَهُ أُذُنٌ **فَلْيَسْـمَعْ** مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ" (رؤ٢:٧).. لقد أتيت لا لأقول، بل **لأســمع** وألتقط مشيئة الآب السماوى، أنفذها، وأتمم عمله.

وفى بستان جثيمانى كانت مشيئته كالإنسان الكامل ألا يموت، **فهو الوحيد صاحب الحق أن يحيا إلى الأبد ولا يرى الموت** (الحتمية السادسة).

إلا أن صلاته وقتها كانت تسليماً وقبولاً منه أن **ينفذ مشيئة الآب، لا مشيئه هو..** ومن شدة ضيقه كان كمن يقترح على الله إن أمكن أن يكون هناك حل بديل للصلب.. فقال: "إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا، **فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ**" (مت٢٦:٤٢).. وإذ لم يكن هناك بديل، فقد قبلها من يد الآب، وشربها.

فليس السؤال: **هل يسوع فيه نجاسة، أم معصوم منها؟**.. بل السؤال هل هو صاحب إرادة حرة ليفعل ما يريد أم لا؟.. كان بإمكانه أن يفعل إرادته الذاتية بالاستقلال عن الله، لكنه لم يفعل.. **بل بمطلق إرادته الحرة رفض ذلك**، منفذاً مشيئة الذى أرسله، بل متخذاً إياها طعامه على طول المدى.

ومن هذا المنطلق ظهر كماله المطلق، لا فى خلوه من النجاسة أو غيرها، بل فى امتناعه بإرادته الحرة عن الخروج عن دائرة المشيئة الإلهية.. حتى فى أشد أوقات جوعه.. وأقسى مراحل آلامه.. إنه حتى **أعمال الخير** التى عملها لم يعملها من ذاته، "**لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ**" (يو١٤:١٠).. "لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، **لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي**" (يو٦:٣٨).. وتنفيذا لهذه المشيئة "جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا.... **لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ**" (أع١٠:٣٨).

فهل يمكن لشخص كهذا أن يفكر -ولو فكراً- أن ينفذ مشيئته الحرة ويعمل الشر، أو **حتى الخير**، طبقاً لمشيئته هو؟.. وهنا الكمال المطلق -مرة أخرى- ليس فى خلوه من الشر، بل فى عدم تنفيذ مشيئته الذاتية.. هذه المشيئة الذاتية فى الإنسان عامة، هى التى باستقلالها عن الله تثمر الشرور والمفاسد.

وهذا معنى كلمة أنه القدوس (بـ ألف ولام التعريف أى القدوس الوحيد).. فهو:

١- الذى ولد كإنسان خال من بذرة الخطية الأصلية، وخال من الرغبة فى الاستقلال عن الله .

٢- **الذى كان يمكنه أن يفعل ما يريد مســتقلاً عن الله - جدلاً - وبالتالى يكتسب هذه البذرة.. لا وراثة عن آدم.. ولكن بتفعيل إرادته الذاتية.**

٣- إلا أنــه لم يفعل ولم يستقل - لحظة واحدة - عن الآب السماوى، بمطلق حريته فى الاختيار أن يطيع.. أو يعصى.. الأمر الذى سقط فيه الإنسان الأول.

٤- والعجيـــب أنه فعل ذلك، وأطاع بمطلق إرادته، مع **كونه الابن الأزلى** (وبالتالى كونه حراً) لـــكنه "**تَعَلَّمَ** (كما لو لم يــكن حراً) **الطَّاعَةَ مِمَّا** (أو فيـما) **تَأَلَّمَ بِهِ**" (عب٥:٨)، خضوعاً للمشيئة الإلهية من خلال الألم إذ "**أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ**" (فى٢:٨)، (الحتمية السادسة).

ثالثاً: العصمة

وهذه ثالثة المغالطات: أن يُســأل هل المســيح معصوم، أم لا؟.. ويكون السؤال مقبولاً شكلاً - وقابلاً للمناقشة - لو كان: هل يسوع معصوم، أم لا؟

العصمة هى **القيد**، كالقيد الذى عصم الله به كلمته من التحريف أو الانتقاص أو الزيــادة، بأن **قيَّــد كتابها، وســاقهم ســوقاً** - لا كتابة إملائية، بل - ليكتبوا بأسلوبهم الخاص هم - **الذى يختلف من كاتب إلى آخر - لكنهم يكتبون مايريد الله أن يعلنه تماماً**.. وهو **ســوق لحجب الضعف البشرى** - كالنسيان مثلا، أو غيره - من أن يكون له دور فى الكتابة.. **ولمنع الانحراف أو الزيادة أو النقصان** فيما يريد الله أن يــعلنه.. ولذلك فـ"**كُلُّ الْكِتَابِ** (المقدس) **هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ**" (٢تى٣:١٦).. وكتبه "**أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ** (سوقاً) **مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**" (٢بط١:٢١).

ونلاحظ الفرق بين **الســَّوْق والقيادة**.. فالمؤمنون الآن **ينقادون** بروح الله (رو٨:١٤).. لكنهم **لا يــســاقون** ســوقاً.. بدليل أنهم يمكنهم أن **يحزنوا** روح الله (أف٤:٣٠)، وأن **يطفئوا** الروح (القدس) (١تس٥:١٩).

ولــو كان يسوع **معصوماً** أى فاقداً الحرية فى الامتناع عن الشر، ومرغماً على عمل الخير، مغلوباً على أمره فى هذا وذاك، **ما كان هذا كمالاً يُنْســَب له ولا كانت ذبيحته ذات قيمة أو فاعلية.**

الخلاصة

السؤال المذكور، هو سؤالٌ - وليس السائل بالضرورة - **خبيث:**

١- من حيث عدم التمييز بين لفظ **يسوع** وبين لفظ **المسيح**.. الأمر الذى يبلبل فكر البسطاء الذى لا يعرفون الفرق.

٢- من حيث عدم التمييز بين **الخطية الأصلية** (عمل الإرادة الذاتية، بالاستقلال عن الله) وبيـــن ثمارها من **خطايا فعلية** كالشرور والمفاســد.... إلخ.. الأمر الذى يشوش أذهان الأطفال فى الإيمان والمبتدئين.

٣- من حيـــث عدم التمييز بين **العصمة من الشرور والمفاســد**، وبين **الحرية فى عمل الإرادة الذاتية**.. إن خيراً، أو شراً.

٤- من حيث طرح السؤال، كمعضلة لا حل لها.. وهو:
إما أن يكون يســـوع (وليس المسيح) **معصوماً**، أى فاقداً الحرية لفعل ما يريد، ومبرمجاً على فعل خير لا إرادى.. وبالتالى تسقط كفارته.
أو إما أن يــكون **غيــر معصوم**، مما يـــسمونه خطأً: الخطية - التى عرفنا ماهيــتها- وبالتالى تحوى جعبته أى قلبه جميـــع الشرور التى تخرج من قلب الإنسان (مت١٢:٣٥).. وبالتالى فقد كماله.. وبالتالى أيضا تسقط كفارته.

الســؤال الذى يـــحير عامة المؤمنين إذ لا يجدون إجابة عليه؛ بحســب نصه **الخبيث.**

ملاحق

ملحق١: الروح القدس بالإضافة إلى أنه يـــبكت العالم على **خطية**، فإنه أيضاً يبكته على بر وعلى ديـــنونة.. كقول الرب: "أَمَّا عَلَى **بِرّ** فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْـضًا. وَأَمَّا عَلَى **دَيْـنُونَةٍ** فَلأَنَّ رَئِيـــسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ" (يـــو١٦:٨-١١).. ففى غيـــاب الرب عن العالم، وعدم رؤينهم له، يقوم الروح القدس بتبكيـــتهم على بر.. أو بالحرى على كيـــفية الحصول على البر.. وعلى ديـــنونة، لأن رئيـــس هذا العالم قد دين، فأصبح كل من هو تحت ســـلطانه من العالم واقع بالضرورة تحت الدينونة.. هذا إضافة إلى معان أخرى لهذه الآية.

ملحق٢: فدية **لأجل** الجميع.. أى **لأجل** جميع من يقبلونها أو يرفضونها.. لكنها فدية **عن** كثيرين.. أى فقط **عمن** يقبلونها.

مثلما مات المســيـح من **أجل الجميـــع** لكى يـــعيش **الأحياء (فقط وليس الجميـــع)** فيـــما بعد لأنفســـهم بل للذى مات لأجلهم وقام (٢كو٥:١٥).. والمقصود بالأحياء هم من نالوا الحياة بالإيمان بالمسيح.

ملحق٣: راجع العدد العاشر من هذه السلسلة بعنوان "ميمى بك".

ملحق٤: صدمت هذه العبارة الراهب الألمانى مارتن لوثر (١٤٨٣م - ١٥٤٦م):
"بعدلك نجنى، وبعدلك أحينى".. ولأنه أستاذ جامعى فى نفس الوقت، كانت صدمته، إذ كيف ينجو وينال الحياة على أساس عادل بينما هو - شأن الكل - خاطئ.

كان الحل فى نظره أن يذلل نفسه بالقيام بأحط الأعمال فى الدير كأن ينظف المراحيض (لم يكن إسمها دورات المياه فى ذلك التاريخ).. لم يسترح.. فبدأ يرتدى أسمالاً بالية، ويطوف على منازل البلدة يجمع الخبز القديم لإطعام دجاج الدير.. لم يحصل على الراحة.. كلفه رئيس الدير بتوصيل رسالة للبابا فى روما.. سعد أيما سعادة.. ها قد جاءته الفرصة الذهبية لرؤية الحضرة البهية لكبير الديانة المسيحية.. وصل إلى مقر البابوية فى روما.. صعد السلالم على ركبتيه.. وعلى كل درجة يتلو بعض المزامير.. حتى بانتهاء الدرج يكون قد تلا كل المزامير.. هلت الطلعة الميمونة على هذا الراهب المسكين.. توسم أن يمتلئ سلاماً، فلم يحدث.. سلم الرسالة وعاد أدراجه، ليحبس نفسه فى حجرته فى الدير أسبوعاً كاملاً، صائماً متذللاً طالباً من الله أن يعطيه الحياة، ولكن على أساس العدالة.. انزعج زملاؤه الرهبان.. كسروا باب الحجرة.. وجدوه بين الحياة والموت.. أسعفوه.. أعطاه رئيس الدير تفويضاً لقراءة الإنجيل شعَّ النور فى عينيه عند قراءة العبارة: "أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا" (حب٢: ٤ & رو١: ٧ & عب١٠: ٣٨).. أى بالإيمان بموت المسيح محتملاً عقوبة الخطية العادلة، ليعفى "مارتن لوثر" وغيره من السعى لنوال الحياة بالعدالة بالأعمال.. بل بعدما أخذت العدالة الإلهية مجراها فى صليب المسيح، تبقت الرحمة بعد ذلك لمن يؤمن به.

مع ملاحظة أن هذا لـــيـــس كل تاريـــخ "مارتن لوثر" وإنما ما يـــخص موضوعنا.

ملحق٥: وهذا ما سنقرأ عنه في عدد قادم بمشيئة الرب بعنوان: "أنصبة في الصليب".

ملحق٦: وعلى ذات القياس: إن كان المســـيح هو الله، لكن ليس الله هو المســـيح.. ونعيد العبارة بصيغة أخرى: إن كان أقنوم الابن هو الله، لكن ليس الله هو أقنوم الابـــن فقط.. بل هو الآب والابن والـــروح الـــقدس، في وحدانيـــة واحدة.. وبالمثل: إن كان الكلمة هو الله (يو ١:١)، لكن ليس الله هو الكلمة فقط.. بل هو الكلمة والآب والروح القدس.

فى هذا العدد

- هل من المحتم أن يتواصل الله مع الإنسان؟
- هل هناك وسائل لهذا التواصل؟
- إن تعارضت - لدى الله - صفة العدالة، مع صفة الرحمة؟.. فهل أمكن التوفيق بينهما؟
- هل كان هذا التوفيق أزلياً؟.. وكيف؟
- سؤال خبيث: هل المسيح معصوم من الخطية؟

العدد القادم

بمشيئة الرب

أنصبة فى الصليب

سلسلة ملء الجباب

تطلب هذه السلسلة

من المكتبات المسيحية